

جامـــــــعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قـــــــسم التاريخ

النشاط الزراعي والرعوي بالمغرب الأوسط في العصر الزياني

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

من إعداد الطالب

مــكي زيان

تحت إشراف الأستاذة الدكتورة

بشاري لطيفة بن عميرة

السنة الجامعية :

1433-1434هـ/2011-2012م

جامـــــــعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قـــــــــسم التاريخ

النشاط الزراعي والرعوي بالمغرب الأوسط في العصر الزياني

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

من إعداد الطالب: مـــكي زيان

تحت إشراف الأستاذة الدكتورة: بشاري لطيفة بن عميرة

لجنة المناقشة:

د:	صاحي بوعلام	رئيسا
د:	بشاري لطيفة بن عميرة	مقررة ومشرفة
د:	خالدي عبد الحميد	عضوا

السنة الجامعية :

1433-1434هـ/2011-2012م

إهـــــــداء

إلى روح أمي وأبي رحمهما الله

إلى زوجتي الغالية

إلى ابني أحمد الراشد وأفنان فـ ز

إلى أخواتي وإخوتي الأعزاء

أهدي هذا العمل.............

مقدمة

أهمية الموضوع

يتمثل النشاط الزراعي في فلاحة الأرض ،وما يتصل بها من تربة ومناخ ومياه ونبات وتربية المواشي ، والتي كانت علما من العلوم التي اهتم بها العرب وأبدعوا فيها ،وأسسوا حولها نظريات علمية دقيقة، سُجلت في كتب عديدة ، وقد أبدعت يد الفلاح في المغرب الأوسط في غرس البساتين والعناية بالنبات وبرع في طرق الزراعة ،كما اهتم السلاطين الزيانيون بالمزارعين فعاملوهم بلطف ،لاعتبار الزراعة موردا ماليا أساسيا من موارد خزينة الدولة ،فهي مصدر ثراء للدولة في وقت الرخاء والاستقرار وعامل صمود في وقت الحروب، والحصار ، لما تدّخره مخازن الدولة من مؤن وغذاء مما تدره الزراعة من خيرات . كما تعد عاملا مهما من عوامل المدنية. فاعتنوا بها وسعوا الى تطوير أساليبها وتنميتها ،لكي تستطيع أن تفي بحاجات ومتطلبات البلاد . وتذكر المصادر التي جاءت على ذكر بعض فحوص المغرب الأوسط من البكري في القرن الهجري الخامس / الحادي عشر ميلادي ، إلى الحسن الوزان في نهاية القرن الهجري العاشر /بداية القرن السادس عشر ميلادي ،أنها من أغنى الأراضي زراعة ،وأن فحوص تلمسان من أخصب هذه الفحوص تربة وأوفرها إنتاجا [1]. فأرض المغرب الأوسط مناسبة للزراعة وخاصة في قسمها الشمالي ،الذي يتوفر على سهول واسعة، قسمتها جبال الأطلس التلي الى سهول ساحلية تمتد على أكثر من 1200كلم ،من الشرق إلى الغرب ،وهي خصبة ومتقطعة بفعل هذه الجبال ،

---

1. ابن خلدون (أبي زكرياء يحي)،**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ،تقديم وتحقيق وتعليق ،عبد الحميد حاجيات ،وزارة الثقافة ،الجزائر ،2007 .ص85.

وسهول ساحلية مرتفعة واسعة وتتخلل هذه السهول شبكة من الأودية متباينة في كمية المياه والطول والقصر ،وهي تلعب دورا مهما في سقي الأشجار و المزروعات .

إشكالية البحث :

إن دراسة النشاط الزراعي في المغرب الأوسط تضعنا أمام مجموعة كبيرة من نقاط الإستفهام ،فقبل الدخول في موضوع الزراعة وجب تحديد هذا الإطار الجغرافي الذي سمي بالمغرب الأوسط ،هل ينطبق مع حدود الدولة الزيانية، أم أن هذه الدولة لا تمثل إلا جزءا من الحدود الجغرافية له، وما هو دور هذا الإمتداد الجغرافي -بما يتمتع به من موارد طبيعية كالسهول والنجود والجبال والأمطار والتربة والنبات – في النشاط الزراعي والرعوي . وماهي أهمية اختلاف العناصر البشرية التي استوطنت المغرب الأوسط في الفترة الزيانية ومارست هذا النشاط . ثم إشكالية أخرى وجب إزالة اللبس عنها وهي طبيعة أرض المغرب الأوسط من حيث الملكية وعقودها المختلفة، هل هي ملكية عامة أم خاصة ،وهل يصح أن نطلق عليها نفس التصنيفات التي عرفتها ملكية أرض المغرب الإسلامي، أم لها تصنيفها الخاص بها .وهل كانت خدمة هذه الأرض وزراعتها تتم بأيدي مالكيها أو هناك وسطاء يقومون بفلاحة الأرض بدلا منهم؟ وماهي العقود التي تربط بين هؤلاء المزارعين وملاك الأرض ؟ثم ماهي المراحل التي كانت تمر بها العملية الزراعية والوسائل التي تعتمد عليها ؟ وماهي أهم الحاصلات الزراعية التي اشتهر بها المغرب الأوسط والطرق التي كانت معتمدة في تخزينها ،وجبايتها من طرف الدولة كمورد هام للخزينة الزيانية . ثم في الأخير ماهي أهمية الرعي وهل كان نشاطا منفصلا أم مرتبطا بالزراعة وماهي أنواع هذه الحرفة ؟

المنهج المتبع في كتابة الموضوع :

اعتمدت المنهج التركيبي في إعداد هذا البحث حيث بدأته بالمنهج الوصفي ،بحكم قيامي بداية بجمع المادة التاريخية من المصادر التي توفرت لدي ، من مصادر التاريخ السياسي العام، وكتب الرحالة، وكتب النوازل الفقهية ،وغيرها من المصادر والدراسات المتعلقة بالموضوع .

ثم المنهج الإستقرائي :حيث استقرأت النصوص التاريخية و الفقهية والجغرافية من خرائط وبيانات في كتب الجغرافيا ،والنوازل ،وكتب اللغة ،والفقه ،والتفسير ،والحديث. واستخرجت منها ما يمكن ان يجيب على بعض الإشكاليات ،ويسد بعض الثغرات التي لم تجب عنها الكتب المتخصصة . وأخيرا اعتمدت المنهج التحليلي ،إذ قمت بتحليل ما توفر من مادة حول النشاط الزراعي ،والعوامل المؤثرة فيه ،ومقارنتها بما كتب حول الموضوع ،في فترات وأماكن قريبة من مجال البحث .

أسباب اختيار الموضوع :

هناك أسباب موضوعية وأخرى ذاتية دعتني للبحث في هذا الموضوع، أما الأسباب الموضوعية فهي دور النشاط الزراعي في حياة الشعوب عامة ،وفي تلك الفترة خاصة . إذ شكل موردا هاما من موارد الدولة الزيانية والركيزة الأساسية لاقتصادها ،وجذب اهتمام أغلب سكانها[1] . ورغم ذلك نلاحظ هذا الشح من الدراسات التي تناولت هذا الجانب من حياة المغرب الأوسط، في آخر حلقات تاريخه الوسيط ،فكان ذلك محفزا للمساهمة في التوجه الجديد من الكتابات التي تُعنى بالجانب الاقتصادي والاجتماعي من التاريخ ،واستجلاء الغوامض. محاولا تسليط الضوء على النشاط الزراعي الذي هو في نظري أوسع وأهم نشاط مورس في تلك الفترة من تاريخ المغرب الأوسط .

1. ابن خلدون (أبي زكرياء يحي)،المصدر السابق، ص85.

أما الذاتية فمن هذا المنطلق ونتيجة لأهمية الفترة الزيانية ،التي تمثل حلقة هامة من حلقات تاريخنا الوسيط الحافل بالأحداث ،بالنظر إلى طول هذه الفترة الممتدة على أكثر من ثلاثة قرون 7إلى10هـ/ 13إلى 16 م ،والتي لازال الغموض يكتنف الكثير من جوانبها الحضارية ، فإنها عوامل تحفز الهمم وتشحذ العزائم لصبر أغوار هذا التاريخ في هذه الفترة.

خطة الموضوع :

قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول :حاولت أن أحدد فيه الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط في العصر الزياني ،من حيث الإمتداد ،والحدود التي وصلت إليها الدولة الزيانية في أقصى اتساع لها ،ثم المراحل التي مرت بها الدولة الزيانية ،ثم تناولت التعريف بالنشاط الزراعي عموما وأهميته في الدولة الزيانية ،و انعكاس هذه التطورات السياسية على النشاط الزراعي.

الفصل الثاني : تناول دور العوامل الطبيعية في النشاط الزراعي ،من التضاريس بأنواعها ،والتربة بأنواعها ،والأقاليم المناخية والعوامل المؤثرة في المناخ ،والمياه من حيث مصادرها وأهميتها ،ثم دور العوامل البشرية ،فتعرضت لعناصر السكان في المغرب الأوسط في العهد الزياني ودور كل عنصر في النشاط الزراعي ،ثم تناولت أنواع ملكية الأرض من الإقطاع بأنواعه وبقية الأنواع من ملكية الأرض في المغرب الأوسط .

الفصل الثالث : تناول النشاط الزراعي والرعوي ،ودرست فيه :طبيعة العلاقة بين المزارعين وملاك الأرض ،وأنواع العقود التي نشأت بينهم ،ثم أساليب الزراعة والري في مختلف المراحل التي يقوم بها المزارع من بداية العملية الإنتاجية إلى نهايتها والوسائل التي يعتمد عليها في مختلف هذه المراحل. ،ثم تناولت أهم أنواع الحاصلات الزراعية بالمغرب الأوسط في العصر الزياني

والمناطق التي ارتبطت بها . ثم تطرقتُ لطرق تخزين الغلات الزراعية المختلفة ،وعملية الجباية على هذه الغلات من طرف عمال الدولة ومكلفيها .وفي الأخير تناولت أهمية النشاط الرعوي ،وأهم أنواع المواشي التي عُرفت بالدولة الزيانية ،وأنواع الرعي .وجاءت الخاتمة كحوصلة لأهم ما جاء في البحث من استنتاجات حول هذا الموضوع، من الاطار الجغرافي للبحث الى أهمية الزراعة في حياة المجتمع الزياني ،والعوامل التي ساهمت في ازدهارها وتنوع حاصلاتها وارتباطها بنشاط الرعي .

وزودت هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق التي اقتبستها من مصادر تاريخية وجغرافية لتلك الفترة، والتي تثري المعلومات الواردة في فصول هذا البحث ،وختمت البحث بفهرس للأعلام والقبائل ، والأماكن .

عرض المصادر:

توفر لدينا مجموعة من النوازل[1] والمصادر والبحوث و الدراسات الجادة ،والتي على قلتها وفرت لنا مادة ممتازة تفيد بحثنا، وفي مقدمة المصادر التي اعتمدت عليها كتب النوازل ، التي نقلت إلينا نصوصا فقهية تفسر أحوال مجتمع المغرب الإسلامي في تلك الفترة ، لاسيما تاريخ البوادي والفحوص البعيدة عن المدينة، والتي سكتت عنها مصادر التأريخ السياسي .وهناك من أبدعوا في استثمار هذه النوازل ممن عثرنا على كتاباتهم مثل عز الدين أحمد موسى، وابراهيم القادري بوتشيش ،وأحمد الطاهري، و حساني مختار ،والأمين بلغيث وغيرهم، ممن قدموا إسهامات جادة في سعي الى نفض الغبار عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للغرب

1. النازلة هي : مشكلة من المشاكل العقائدية والأخلاقية العارضة التي يصطدم بها المسلم في حياته اليومية ،فيحاول أن يجد لها حلا يتلاءم مع دينه وقيم مجتمعه.(أنظر : البرزلي ،(أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي ،ت 841هـ/1438م)،**جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام** ،تقديم وتحقيق أ.د.محمد الحبيب الهيلة ،دار الغرب الاسلامي ،ط1، ج1،ص 292.)

الإسلامي ،إلا أنه في نظرنا المتواضع تبقى فراغات ونقاط إستفهام عديدة تفرض نفسها على كل من يتصدى للبحث في هذا المجال . وأهم النوازل إفادة في بحثنا هذا ، **مخطوطة الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ، لصاحبها أبي زكرياء يحي المغيلي المعروف بالمازوني ،الذي أمدنا بنوازل المغارسة والمساقاة ومسائل الأراضي ،ومكانة العبيد في المجتمع ،فكانت مصدرا أساسيا للعلاقة بين المزارع ومالك الأرض وكذلك لطبيعة ملكية الأرض .**والمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب** ،من تأليف ابي العباس أحمد بن يحي الونشريسي المتوفى سنة 914هـ /1508م الذي نشأ بتلمسان ودرس بها ثم غادرها سنة 874هـ/1470م إلى فاس التي استقر بها الى أن مات ،كان هذا المؤلف موسوعة لفتاوى أهل المغرب الإسلامي والأندلس ونهل منه العديد من الباحثين حول تاريخ المغرب ولا يزالون.   وقد أفادنا هذا المصدر في معرفة أنواع ملكية الأرض ،وعلاقات المزارعين بملاك الأرض ،وطرق الري ،وعملية الحرث ووسائلها . **وجامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام** للبرزلي ،(أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي ،المتوفى في 841هـ/1438م). إضافة إلى كتب الرّحالة وأهمها **كتاب وصف إفريقيا** لصاحبه الحسن الوزان ،الذي أفادنا كثيرا لأنه من الذين عاصروا فترة البحث، فقد كتب هذا المؤلَف في عام 921هـ / 1516م ،في طريقه إلى المشرق لمقابلة السلطان العثماني سليم الأول ،موفدا من قبل سلطان فاس محمد الوطاسي ، وتجول في أرجاء المغرب الأوسط ،في العصر الزياني، وأمدنا بمادة لا يستهان بها ،في المجال الجغرافي والزراعي والحيواني . فأورد في هذا الكتاب عرضا شاملا للموارد الإقتصادية للمغرب الأوسط ،والأعمال التي كان يزاولها السكان.

أما كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،الذي ألفه التنسي(محمد بن عبد الله) ،تقربا من السلطان الزياني أبي عبد الله محمد المتوكل الذي حكم في 866-873هـ / 1462-1468م،فرغم أنه من المصادر الأساسية التي تؤرخ للدولة الزيانية فقد كانت استفادتنا منه محدودة لأنه يؤرخ للجانب السياسي ونشأة الدولة ، ولا يتعرض للجانب الاقتصادي فيها إلا في

بعض الإشارات غير المباشرة مثل كلامه عن بعض السهول و عن غلاء أسعار الغلات واللحوم أثناء حصار تلمسان [1].

ومن المصادر المتخصصة التي استفدنا منها كثيرا كتاب الفلاحة لابن العوام الاشبيلي ،الذي كان قريبا من فترة البحث ،فقد عاش في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي وقام بجولات عديدة في المغرب ومصر وغيرها واستخلص في تجاربه بهذه البلاد وموطنه إشبيلية و قدم عدة قواعد وقوانين توجه المزارعين و يقوم عليها النشاط الزراعي، مثل انواع التربة ومعالجة الرديء منها وطرق غرس الأشجار ،وحفظ المحصول وغير ذلك .وقد أخذ بن العوام في كتابه هذا عن عدة علماء من الذين سبقوه أمثال ابن بصال و الطغنري وابو الخير الإشبيلي ،وظل كتابه مرجعا أساسيا في الفلاحة لعدة قرون ،بلغ عدد أوراقه 477ورقة تحوي 35بابا ،عن الأرض، والزراعة والمياه ،والبساتين ،والأشجار ،والحيوان ،والطيور، وغيرها .

كما استفدنا من كتب التاريخ العامة مثل كتاب العبر لعبد الرحمن ابن خلدون الذي ذكر فيه بعض أحوال القبائل التي عمرت بالدولة الزيانية كونه معاصرا لها ،وطرق معيشتهم ونشاطهم وتنقلهم بحثا عن الماء والكلأ ،وتكلم في كتاب المقدمة عن أهمية حرفة الزراعة .كما لاحظنا عزوف بعض الرحالة الجغرافيين عن التجوال في أرض المغرب الأوسط مثل ابن بطوطة الذي ركب البحر في طريق عودته من تونس الى المغرب الأقصى خوفا من غارات العرب في الطريق البري ،أو تجنبه أرض المغرب الأوسط عبر إقليم السودان في الساحل الافريقي من المغرب الأقصى إلى مصر في 753هـ/ 1352م.

ذكرت هذه المصادر معلومات قيمة عن بعض الحاصلات الزراعية في المغرب الأوسط ،كما تطرقت لملكية الأرض ،وطرق الري ولكنها غير كافية ،لأنها معلومات عامة غير

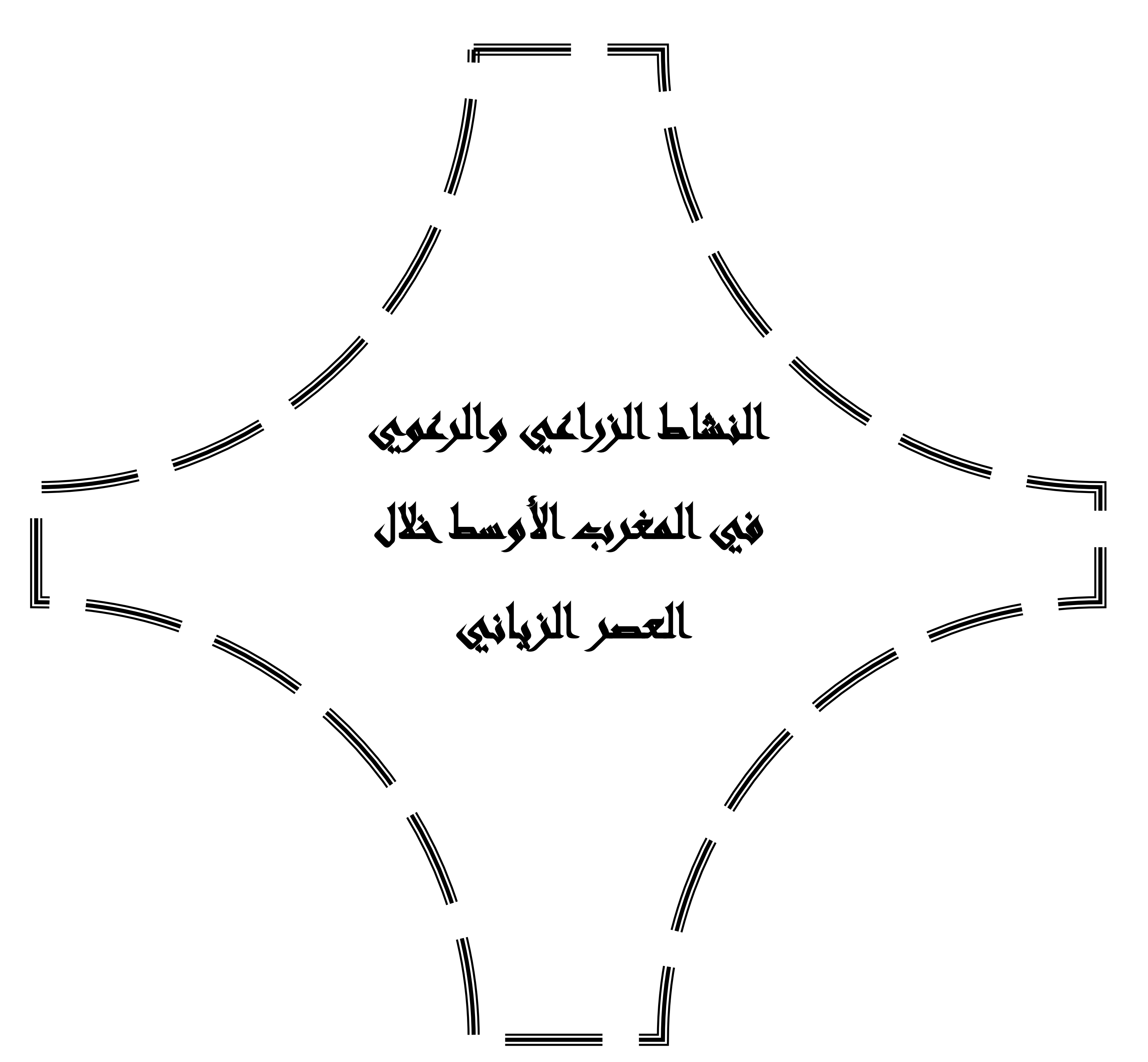
1. التنسي محمد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان** ،مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،حققه وعلق عليه محمود بوعياد ،م و ك ،الجزائر1405هـ/1985،ص132.

مفصلة ، لامست الموضوع بطريقة غير مباشرة ، إما في المكان فكانت في عموم المغرب والأندلس ، وإما في الزمان فكانت قبل الفترة الزيانية ، وإما في الموضوع حيث اهتمت بجوانب اقتصادية أخرى غير النشاط الزراعي .

الصعوبات التي اعترضتني :

اعترضتني جملة من الصعوبات، ففي المرحلة الأولى إصطدمت بشح المادة المتعلقة بالموضوع في المصادر التي كنت اعتمدت عليها منذ البداية ،فهي لا تعالج الإشكالية بشكل مباشر ولا تحوي إجابات صريحة على التساؤلات المهمة في الموضوع ،بل تشير إشارات خفيفة للنشاط الزراعي وما يرتبط به ،في حين أن النوازل لا تذكر غالبا المكان والزمان الذي تعالج فيه النازلة ،فوجدت عدة اختلالات جعلتني أضاعف الجهد لسدها بكثرة البحث وتنويع المصادر لإيجاد المادة العلمية ،في ظل ندرة المراجع التي تناولت الموضوع ،وكثرة واجبات العمل والمشاغل المتعبة التي تفرضها الحياة وأعباء الأسرة في أيامنا .

إن البحث في موضوع النشاط الزراعي في بلاد المغرب الأوسط في العصر الزياني يعد تحديا رفعته إيمانا مني بضرورة المساهمة في إثراء هذا النوع من الدراسات ،ومسايرة لهذا النسق الجديد من الأبحاث ،قررت أن أطرق موضوعا هو من صلب التاريخ الإقتصادي لبلاد المغرب الأوسط بل أهمها على الإطلاق في نظري ،وهو النشاط الزراعي والرعوي ،مستأنسا بأعمال من سبق ذكرهم في هذا المجال . ومتوكلا على الله وحده " وعلى الله فليتوكل المؤمنون " ،وفي الأخير لا أدعي أنني استوفيت كل الإختلالات وأزلت كل الغموض الذي تعرضت له في هذا الموضوع ،إنما هي مساهمة في إثارة النقاش حوله .وأود أن أنوه بجهود الأستاذة المشرفة الدكتورة بن عميرة لطيفة التي لم تدّخر جهدا في إرشادي وتوجيهي ،لاستكمال النقص ،وتدارك الأخطاء فإليها يرجع الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث ،وإلي يرجع ما فيه من خلل ونقص ،كما أشكر السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على مساهمتهم في كشف النقائص وتصويب ما في هذا البحث من مآخذ .



النشاط الزراعي والرعوي في المغرب الأوسط خلال العصر الزياني



الفصل الأول

الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط

الفصل الأول :المغرب الأوسط في العصر الزياني :

مصطلح المغرب

الإطار الجغرافي للمغرب الاوسط

الحكم الزياني في المغرب الاوسط

مصطلح النشاط الزراعي

فضل النشاط الزراعي

الوضع السياسي واثره على النشاط الزراعي

مصطلح المغرب والمغرب الاوسط:

لاشك أن الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط ، إشكالية بحد ذاته ،لأن حدوده في بطون المصادر والمراجع مائعة ،غير مستقرة . فضلا على أن الذين تناولوا بلاد المغرب(عامة وبلاد المغرب الأوسط بشكل خاص) بالدراسة ،سواء سياسية كانت أو اقتصادية أو غيرها ،جعلوا الحدود الجغرافية موضوعا هامشيا ، أو توطئة عابرة، ولم يولوا هذا الموضوع حقه من البحث والتدقيق . وعليه رأينا أن نستهل هذا البحث بفصل تمهيدي يطرق موضوع الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط. نورد من خلاله ما جاء في المصادر ،و بعض آراء المؤرخين ، والجغرافيين، والرحالة ،ونحاول أن نخرج برأي ، يقربنا من رسم معالم الوحدات السياسية التي عاصرت فترة البحث ، ونركّز على المغرب الأوسط كمجال جغرافي له.

يعود مصطلح المغرب بشكل عام إلى عهد النبوة ،حيث ذكرت عدة مصادر فضل المغرب ، مثلما جاء في البيان المغرب لابن عذارى المراكشي [1] ،أنه ورد في صحيح مسلم حديث ،عن فضل أهل المغرب . [2]

---

1. ابن عذارى المراكشي ،**البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب** ،تحقيق ومراجعة ،ج س كولان وليفي بروفنسال ،دار الثقافة ،بيروت لبنان ،ط3 ،1983. ج1، ص05،(أنظر كذلك : بن خلدون (أبي زكرياء يحي)،المصدر السابق،ص84.)
2. "روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة "ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه : قال حدثنا يحي بن يحي أخبرنا هشام عن داود بن ابي هند عن أبي عثمان عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم 'لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " أنظر :صحيح مسلم.شرح محي الدين ابي زكريا يحي بن شرف النووي الشافعي المعروف بالنووي ،راجعه الشيخ خليل الميس ،دار القلم بيروت لبنان ،الطبعة ،3،كتاب الامارة رقم 33 ،الباب ،53،ج13،رقم الحديثَ 177، ص73.

وبعد ذلك أُستخدم في عهد الخليفة علي كرم الله وجهه في عصر الفتنة مع معاوية بن أبي سفيان حيث أورد ابن الأثير (ت630هـ/1232م) ،أن عليا ،أثناء استعداده في الكوفة لحرب معاوية في الشام ،خاطب رجاله في الكوفة ،بقوله "تجهزوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب" .[1] ويُذكر أن هذا الكلام يقصد به جهة الغرب وليس بلاد المغرب .

ومن المؤرخين من أطلق اسم إفريقية [2]على بلاد المغرب ، وأصحاب هذه المصادر يقصدون بها تونس وطرابلس وتارة تونس وحدها وتارة أخرى المغرب كله. مثل ابن عبد الحكم.[3] الذي يشير أن سلطان إفريقية إمتد إلى طنجة . و قول البكري.[4] أن إفريقية تمتد شرقا حتى برقة وغربا إلى طنجة والخضراء .

---

1. ابن الأثير ،(عز الدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير) ،**الكامل في التاريخ** ،دار ومكتبة الهلال ،بيروت لبنان ط2003،جزء 3 ،صفحة 339.
2. أنظر : ابن خلدون عبد الرحمن (ت في القرن8هـ/14م)،**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، المسمى بتاريخ ابن خلدون ، ضبط المتن الأستاذ خليل شحادة ،مراجعة الدكتور سهيل زكار ،دار الفكر بيروت طبعة 2000/1421م، الجزء 6ص17؛ ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي)،**معجم البلدان** ،دار صادر بيروت ط 1397هـ /1977م ، الجزء1،ص228 ؛ البكري أبو عبيد الله ،**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ،ص21 .
3. ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت 257هـ/871م، **فتوح مصر والمغرب** ،تحقيق عبد المنعم عامر ،شركة الأمل للطباعة والنشر ،القاهرة ، 1415هـ/ 1990،صفحة 246.
4. البكري أبو عبيد الله ،المصدر السابق .

أما السلاوي فقد أطلق مصطلح إفريقية على جزء من بلاد المغرب، هو الجزء الشرقي (أي تونس تحديدا)،و الذي أصبح يسمى بالمغرب الأدنى فيما بعد[1]. ثم مصطلح إفريقيا عند بعض المصادر المتأخرة مثل الحسن الوزان [2].كما ظهرت مصطلحات أخرى لهذا الإقليم ،مثل(جزيرة المغرب)الذي ورد عند عبد الرحمن ابن خلدون [3] ،و استخدم ابن حيون الشطيبي هذا المصطلح كذلك حيث قال:" ..وقد ذكر أهل التاريخ كابن الجزار والمسعودي ومن شابههم أن أرض البربر جزيرة المغرب ..."[4] و يوافقهم على هذا القول كذلك الإصطخري[5] .

---

1. السلاوي أحمد بن خالد الناصري ، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ،تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصري ،الدار البيضاء ،دار الكتاب 1954، ج1،ص33،أنظر كذلك (عبد العزيز سالم ، **المغرب الكبير** ، دار النهضة العربية ،بيروت لبنان،1981، ج2،ص127، يحي بوعزيز **الموجز في تاريخ الجزائر** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007، ص13، موسى لقبال ، **تاريخ المغرب الإسلامي** ،دار هومة، الجزائر، ص14.)
2. أنظر الحسن الوزان ، **وصف افريقيا** ،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ،دار الغرب الاسلامي ،ط2،ج1، ص27-28.
3. ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق،ص98-101.
4. الشطيبي (محمد بن علي بن محمد بن حسين الصقلي الأندلسي) ، **الجمان في مختصر أخبار الزمان** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر رقم 2614،ورقة 203.
5. الاصطخري (بن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي) (ت خلال النصف الأول من القرن 4هجري)،**المسالك والممالك** ،تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ،مراجعة محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والارشاد القومي ،الادارة العامة للثقافة ، 1381هـ/1961م ، ص216.

أما فيما يخص تسمية المغرب الأوسط فهي قديمة ،قدم الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، إذ سميت جهاته الثلاثة بأدنى وأوسط وأقصى ،وذلك انطلاقا من جهة المشرق .وبقيت هذه المصطلحات إلى دخول العثمانيين[1] .

الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط :

يعد نهر ملوية الحد الطبيعي للمغرب الأوسط من جهة الغرب ، بينما لا نجد حدا واضحا تجمع عليه المصادر من ناحية الشرق . أو معلم يستقر رأي المراجع عليه. خاصة في ظل غياب سمات طبيعية واضحة تفصل بين هذه الوحدات كالجبال ،والغابات، والصحاري ،والبحار، والوديان من جهة ،وفي ظل التدافع بين الوحدات السياسية التي عمّرت المغرب منذ الفتح الإسلامي من جهة أخرى.[2] الأمر الذي لم يتح الفرصة لتبقى الحدود على وضعها ورتابتها . وأهم مرحلة يمكن أن نميز فيها حد المغرب الأوسط خلال كل هذه المراحل التي تعاقبت عليه ،هي ما بعد الموحدين ،حيث ورثت السلطة عنه ثلاث وحدات متباينة ،وهي الدولة الحفصية في المغرب الأدنى ، والدولة المرينية ،في المغرب الأقصى ،والدولة الزيانية ،في المغرب الأوسط .

---

1. محمود السيد ، **تاريخ دول المغرب العربي** ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية، 2006،ص141.
2. محمد تضغوت ،**نحو تحديث دراسة التاريخ الاسلامي**، تقديم محمود اسماعيل ،دار رؤية للنشر والتوزيع ط 1 القاهرة ،2004، ص83.

واختلف الباحثون في حدود هذه الدولة خاصة من الجهة الشرقية ،بين من يجعلها تقتصر على تلمسان وضواحيها .[1] وأن بني عبد الواد لم يحكموا سوى الجزء الغربي مما يقابل الجزائر حاليا.[2] أو من سعيدة ووادي مينة شرقا الى وادي ملوية ومدينة وجدة غربا. [3] وذهب أخرون إلى أنها من بجاية الى وادي ملوية غربا [4]

حيث نجد الشريف الادريسي يقول إن "مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط ...وأن بلاد تلمسان بامتداداتها هي قفل بلاد المغرب الأوسط" . [5] وعلى ذلك فإن ما وراء ذلك شرقا هو المغرب الأدنى أو إفريقية .وما وراء حد تلمسان غربا هو المغرب الأقصى الذي ينتهي عند مضيق الزقاق . [6].

---

1. عائشة غطاس، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ،**الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها،** المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،1954،ص 11.
2. يسرى الجوهري ،**جغرافية المغرب العربي** ،منشأة المعارف الاسكندرية ،ص 1981 ،ص92.
3. مختار العبادي ،**دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ص198، عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي ،**مختصر تاريخ الجزائر** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985،ص131.
4. محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير** ،ط1 1384هـ/1964م، ج1 ، ص 4 ؛ حسين مؤنس تاريخ المغرب وحضارته، 1992،العصر الحديث للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان، ط1 ،ج2.ص 126.
5. الإدريسي(أبو عبد الله الشريف)،ت 560هـ / 1164م ،**وصف افريقية الشمالية والصحراوية** ،مطبوعات عالم الكتب ،بيروت لبنان ،الطبعة الأولى ،1409هـ/1989م.،ص63.
6. موسى لقبال ،المرجع السابق ، ص15.

إلا أن العمري الدمشقي يقول بأن أول مدن إفريقية –التي يقصد بها إقليم المغرب الأدنى – طرابلس مما يلي برقة وآخر مدنها تدلس المجاورة لجزائر بني مزغنة، مما يلي المغرب الأوسط [1] . ويعد المراكشي (عبد الواحد)مدينة قسنطينة أول حد بلاد إفريقية مما يلي الغرب[2] .

ومنه نستنتج أن الدولة الزيانية بلغت أقصى اتساع لها في المغرب الأوسط خلال عصرها الذهبي نحو الشرق ،فوصلت إلى جبال الزان القريبة من بجاية ،وغربا مدينة تاوريرت ،التي تقع غرب وجدة بحوالي مائة وستة وثلاثين كلم ،وجنوبا حتى وادي ميزاب وواحة جورارة ومن ضمنها سجلماسة حسب ابن أبي زرع[3]وشمالا الى البحر المتوسط من ميناء مرسى هنين إلى ميناء دلس . [4] و أن حدود الدولة الزيانية ليست بالضرورة هي نفسها حدود المغرب الأوسط ، شأنها شأن الدول التي عمرت به منذ الفتح الإسلامي .

---

1. العمري (بن فضل الله شهاب الدين ابو العباس ت 748هـ / 1348م) ،**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق حمزة احمد عباس ، المجمع الثقافي أبوظبي ، ط1423،2002/1م–ايا صوفيا ،ج 4،ص138.
2. المراكشي عبد الواحد،ت647هـ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تحقيق سعيد العريان ،طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية1963.ص174.
3. حيث قال عن سجلماسة أنها في ملك يغمراسن يجبى اليه خراجها .وأن حصن تاوريرت كان نصفه لعثمان بن يغمراسن ونصفه ليوسف أمير المرينيين (أنظر :ابن ابي زرع الفاسي ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ،صور للطباعة والوراقة ،الرباط 1972.، ص 312_385).
4. مختار حساني ، **تاريخ الدولة الزيانية**، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2007 ،ج1،ص 46.

حيث يشير بعض الباحثين إلى أن المغرب الأوسط تكاد تتطابق حدوده مع الحدود الحالية للجزائر[1] . ورغم أن الخرائط التي اعتمدتها أغلب المراجع الجادة، في دراسة الدولة الزيانية، تبين أنها لا تزيد في تخومها الشرقية عن مدينة دلس . نجد أخرى توقعها الى ما هو شرق بونة [2] عندما وصلت جيوش أبي حمو موسى الأول سنة 712هـ / 1312م إلى المدينة وحاصرتها[3]. وهذا يبين مدى تمدد وتقلص مساحتها حسب الأدوار السياسة التي مرت بها الدولة الزيانية في تاريخها الطويل .

الحكم الزياني للمغرب الأوسط:

يرجع أصل بني عبد الواد الى قبيلة زناتة [4]المنحدرة من قبائل البتر البربرية [5]. فهم أبناء جانا من أولاد مادغيس الأبتر جد البرابرة البتر [5] . كان موطنهم الجنوب الشرقي

---

1. أنظر: محمود السيد ،**المرجع السابق** ،ص 141 ،عثمان الكعاك ،**موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي** ،تقديم ابو القاسم سعد الله ،وآخرون ،دار الغرب الجزائري ط1سنة 2003،ص213، هاري هازارد ،**أطلس التاريخ الإسلامي**،رسم لستركوك وج. ماكس ميلي .ترجمة ابراهيم زكي خورشيد ،مطبعة القاهرة ، ص25. حسين مؤنس ،أطلس تاريخ الاسلام ،الزهراء للإعلام العربي ،ط1، 1407/1987،ص183.
2. انظر : الخريطة الملاحق 4-5.
3. ابن خلدون عبد الرحمن ،نفس المصدر ،ص 80.
4. الطبقة الثانية من زناتة كما يسميها،(ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ج7،ص 2.)
5. يرى ابن خلدون خلاف إجماع المؤرخين أن مادغس الأبتر الذي هو أصل البتر ليس من البربر، (أنظر : بن عميرة محمد ،**دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب،** المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ط 1 ،1984، ص 17).

من بلاد المغرب ؛من طرابلس[1] إلى الزاب .ثم اضطرهم زحف القبائل العربية للجنوح إلى جنوب المغربين الأقصى والأوسط إلى سجلماسة[2]،"واقتسموا ذلك القفر، فكان لبني مرين الناحية الغربية منه ،قبلة المغرب الأقصى بتكوزارين ودبدوا الى ملوية و سجلماسة ولبني بادين — الذين منهم بنو عبد الواد – منها الناحية الشرقية قبلة المغرب الأوسط ما بين فجيج ومديونة إلى جبل راشد ومصاب ".[3]وبقوا على هذه الحال عدة قرون يعيشون على حرفة الرعي حسب تعبير يحي بن خلدون [4] الذي قال: " فتجاوروا على ذلك قرونا خالية ،كِسْبَتُهمْ المواشي وسُكناهم الخيام ،ينتجعون أقطار الأرض ويرتادون مَراتِعها ".من الإسكندرية إلى البحر المحيط من بلاد السوس الأقصى غربا ، ومن طنجة من بحر الروم شمالا إلى بلاد السودان قبلةً ،وأكثرهم كما يشير صاحب العبر بالمغرب الأوسط حتى أنه يعرف بهم فيقال وطن زناتة [5] .وذكر صاحب العبر أن موطنهم بأوراس ؛قدموا مع الفاتح عقبة ابن نافع في غزاته الثانية التي توغل فيها إلى السوس الأقصى[6].

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ج 6،ص 149.
2. نفس المصدر ،ص151.
3. ابن ابي زرع ،المصدر السابق ،ص 281، ابن خلدون (أبو زكرياء يحي)،المصدر السابق ص186.
4. ابن خلدون (أبو زكرياء يحي)،المصدر السابق ،ص 179
5. ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ج 7،ص 109.، ابن أبي دينار القيرواني ،**المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،ط3، ص 137.
6. ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق ج 7،ص02.، بن خلدون يحي، المصدر السابق ، ص ،179 .

أما تسميتهم ببني عبد الواد فهي نسبة لجدهم لأمهم عبد الوادي بن يادين بن محمد بن رزجيك بن واسين حسب ابن خلدون . ولما كان عهد أبي حمو موسى الثاني غير التسمية إلى الدولة الزيانية وهي نسبة إلى جدهم لأبيهم زيان بن ثابت بن محمد بن زيان بن يندوكس بن طاع الله بن علي بن يمل بن يزوجن بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. [1]

وفي هذا النسب اختلاف واضح بين المؤرخين فهناك: من يثبته مثل التنسي ويحي بن خلدون وابن ابي زرع [2]. الذين ذكروا أن مادغيس الأبتر هذا هو ابن برّ بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان نزح الى المغرب لسبب مختلف فيه ،والراجح ما نقله كثير من المؤرخين [3] أن برّ لما حسده إخوته على استئثاره بالبهاء ابنة عمه وكانت فائقة الجمال عزموا على قتله فخرجت أمه به إلى قومها بالمغرب أين نسل بنوه وتكاثر عددهم . و من يرفضه مثل عبد الرحمن بن خلدون [4]وهو الأصل .كما تقدم في نسب زناتة وكما ذكر حسين مؤنس [5] .

---

1. الأغا بن عودة المزاري ،**طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن 19م** ، ،تحقيق ودراسة يحي بوعزيز ، الجزء الأول، دار الغرب الاسلامي ط 1 ، بيروت لبنان 1990 ، ص 159.
2. التنسي محمد بن عبد الله، المصدر السابق،ص110، ابن خلدون يحي، المصدر السابق ،ص179-186،ابن ابي زرع المصدر السابق ، ص 198-200.
3. ابن خلدون يحي ،المصدر السابق ، ص 180.،186.
4. ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق ، ج 7،ص/56.
5. حسين مؤنس ،المرجع السابق، ص 126.

وفي هذا الموضوع يورد عبد الرحمن بن خلدون مقالة ليغمراسن لما رفع بعضهم نسبه إلى إدريس فقال "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله .وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا " [1]. و كل من عبد الواد وزيان من نسب واحد على أن الأول عاش قبل الفتح الإسلامي للمغرب أما الثاني فهو أب يغمراسن مؤسس الدولة العبد الوادية [2] . وهذا الأخير هو من الفخذ الثاني الذي يدّعِي له صاحب البغية النسب الشريف [3].

فالأصل إذن في بني عبد الواد أنهم من أمراء البدو الرحل الذين يجوبون صحراء المغرب الأوسط وفي كل صيف ينزحون إلى سهول وهران وما يليها غربا إلى تلمسان التي صاروا أجنح لها من الصحراء. وذلك في حدود سنة 610هـ [4] ، واضعين سيوفهم في خدمة عامل الموحدين بتلمسان كلما احتاج إليها ،لقاء جُعْلٍ من الإقطاع في هذه البلاد من سلاطين الموحدين . ومن هذه الخدمات ما أورده يحي بن خلدون أن عبد المؤمن بن علي لما ملك المغرب الأوسط استنجد بكبير بني عبد الواد أبي محمد عبد الحق بن معاذ لرد أمواله وغنائمه التي اغتصبها بنو مرين بقيادة المخضب بن عسكر المريني "...فسارع بفصيلته وأدرك المخضب [بمنطقة يقال لها مسون]،وقد استحوذ على الغنائم بأسرها ،فقتله وأسر أكثر قومه واسترجع لعبد المؤمن غنائمه." [5]

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ج 7،ص/56.
2. **دائرة المعارف الإسلامية** ،نقلها إلى العربية محمد ثابت الضميدي .احمد الشنتاوي ،إبراهيم زكي خورشيد عبد الحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام ، ج 10، ص 473-474.
3. ابن خلدون يحي ،نفس المصدر، ص 190.
4. ابن خلدون يحي المصدر السابق ، ص198،ابن ابي دينار المصدر السابق ،ص137،ابن خلدون عبد الرحمان ،المصدر السابق ج 7،ص51 .
5. ابن خلدون يحي ،نفس المصدر ص 189.

فاستحسن عبد المؤمن صنيعهم ،فأقطعهم تلك الربوع –من البطحاء حتى ملوية – والتي كانت ملكا لبني يلومي وبني ومانو وأصبحوا بذلك حماة الدولة [1] .

الحكم الزياني :

تحول بنو عبد الواد من وافدين لهذه الأرض إلى حكام لتلمسان .حيث يذكر يحي ابن خلدون [2]، أن شيخ مترجلة لمتونة وهو إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي أسر أبا سعيد عثمان الموحدي والي تلمسان ، وخلع طاعة الموحدين ،وتطاول لإحياء موات الدولة اللمتونية ،فقبض عليه بنو عبد الواد .

ودخل جابر بن يوسف –شيخ بني عبد الواد– مع إخوته المدينة لحينه بدعوة المأمون ،فحل دار إمرتها وضبط أمورها واستقل بحكمها وذلك سنة 627هـ[1229م]. وقال صاحب العبر أنه في سنة 624هـ [3]

وبهذا أصبح جابر بن يوسف سيّدا على تلمسان وحاول توسيع النفوذ العبد الوادي فدانت له أنحاء تلمسان عدا ندرومة التي قتل على أسوارها في سنة 629 هـ /1231م.وحكم بعده ابنه الحسن وجدد له المأمون عهده بالولاية ثم تنازل بعد 6 أشهر من ولايته لعمه عثمان بن يوسف في سنة 630هـ /1232م،الذي خلعه الناس لجوره وأخرجوه من تلمسان ،ودفعوا بالملك لابن عمه زجدان و جاء في كتاب العبر زكدان [4] ابن زيان بن ثابت الملقب بأبي عزة في 631هـ /1233م. ثار بنو مطهر وبنو راشد على هذا الأخير وقتلوه في 633هـ [1235م] .

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،نفس المصدر ج 7،ص57، بوزيان الدراجي ،**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1993،ص24.
2. ابن خلدون يحي ،المصدر السابق ،ص 199،انظر كذلك ،التنسي ،المصدر السابق ،ص 112.
3. ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق ج 7،ص58.
4. ابن خلدون عبد الرحمن ،نفسه.

فقام بالأمر بعده أخوه يغمراسن بن زيان، فتمكن من إخضاع بني مطهر وبني راشد ،وجمع كلمتهم فكان المؤسس الأول للدولة العبد الوادية المستقلة بالمغرب الأوسط عن السلطان الموحدي [1].

الوضع السياسي وأثره على النشاط الزراعي :

مرت الدولة الزيانية بعدة مراحل ،إختلفت خلال كل منها الرقعة الجغرافية التي وصل إليها سلطانهم ، و انعكست هذه التطورات السياسية على النشاط الزراعي .وقد اختلف الباحثون في عدد الأدوار السياسية التي مرت بها الدولة الزيانية فمنهم من جعلها ثلاث [2]. أو أربع [3] أو ستة أدوار. [4] وعموما فقد انطبقت على هذه الدولة قاعدة ابن خلدون [5]في تطور الدول ، بين النشأة ،والقوة والتوسع ،والتقهقر والسقوط.

---

1. ابن خلدون يحي ،نفس المصدر ص 200، ابن خلدون عبد الرحمن،نفس المصدر ،التنسي ،المصدر السابق،ص113.
2. مختار حساني ، نفس المرجع ،ج1،ص46.
3. بوزيان الدراجي ،المرجع السابق ،ص32.
4. يحي بوعزيز ،المرجع السابق جزء1ص220.
5. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة ،ص213.

مرحلة التأسيس:

من حسن قَدَرِ هذه الدولة أن طال عهد مؤسسها الذي قارب الخمسين عاما (633-681هـ /1235-1283م) فقام باثنتين وسبعين غزوة [1] ،ليستقر له الأمر بفضل دهائه وقوة إرادته [2] ، على مساحة شاسعة من أرض المغرب الأوسط. ، لطالما أثارت مطامع الجارتين الحفصية شرقا والمرينية غربا،وكلا منهما يدعي لنفسه شرعية إرث الموحدين في ملك المغرب برمته[3] .

وكان حكام الدولة الزيانية في بداية عهدها يرفعون أكف الدعوة على منابرهم لسطان الموحدين كمظهر من مظاهر التبعية ولو كانت شكلية ،إذ لم يدعي يغمراسن الخلافة لنفسه [4]،ثم تحولت إلى الدعوة للسلطان الحفصي ،عندما غزاها أبوزكريا الحفصي في 639هـ/1242م [5].وفي سنة 700هـ ، 1300م أسقط السلطان العبد الوادي عثمان بن يغمراسن هذه الدعوة حيث جسد الإستقلال التام عن بني حفص فلم يخضع لسلطان غير سلطانه . [6]

---

1. ابن خلدون يحي ،المصدر السابق ،ص 207.
2. Dhina Amar,**Califes et Souverains** ,Entreprise nationale du livre,3bd ,ziroud yousef,alger1991,p101
3. Ibid
4. ابن خلدون عبد الرحمن ،العبر ، ج 6،ص 391.
5. بوعزيز يحي ،**تلمسان عاصمة المغرب الأوسط** ، وزارة الثقافة ،الجزائر 2007.ص 48.
6. ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ج 7،ص 202،بوزيان الدراجي ،المرجع السابق ،ص33.

فترة توسع بني عبد الواد وقوتهم 706-791هـ / 1307-1389م :

رغم أن هذا العهد عرف حملات مرينية قاسية على تلمسان إلا أنه شكل ذروة مجد الدولة الزيانية وعزها. و قد بدأ بفك الحصار المريني على تلمسان في سنة 706هـ /1307م . وكان أبرز القادة الزيانيين في هذا العهد السلطان :أبو حمو موسى الأول707 - 781 هـ /1307-1318م . الذي لقّبه عبد الرحمن بن خلدون -بأول ملوك زناتة- وقال عنه أنه "كان صارما يقظا حازما داهية قوي الشكيمة صعب العريكة شرس الأخلاق مفرط الذكاء والحدة " [1] . واعتبره البعض المؤسس الحقيقي لدولة المغرب الأوسط الزيانية ،إذ بدأ بتأمين البلاد من خطر المرينيين، فصالح السلطان أبا ثابت المريني ،ثم يمّم وجهه صوب الشرق، عملا بوصية جده المؤسس [2]. فغلب بني توجين و مغراوة سنة 710هـ/ 1310م وملك ونشريس ،وشلف، ثم متيجة ،والجزائر في 712هـ / 1312م .[3] ثم سيطر على دلس، وأسس مدينة أزفّون على الساحل وأقبو على السفح الشرقي لجبال أكفادو .[4] وبلغ قواده بجاية التي حاصرها مبعوثه مسعود بن برهوم ، وقسنطينة التي وصلها جيشه من طريق الصحراء، بعون من عرب الدواودة ،و زغبة ،فنزلها أياما وملك جبل ابن ثابت الذي يتاخمها .

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ج7،ص 79.
2. في وصيته قال يغمراسن بأنه يجب عدم التورط بغزو الدولة المرينية والتوجه للتوسع شرقا على حساب الدولة الحفصية (أنظر:عبد العزيز فيلالي ،**تلمسان في العهد الزياني** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 207، ج1ص43،عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي ،**مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1985.،ص130.).
3. ابن خلدون عبد الرحمن ،نفس المصدر ج7،ص 79.
4. بوعزيز يحي، المرجع السابق ،ص 62.

ثم وصل إلى بونة فحاصرها .[1] ومد نفوذه إلى بلاد الزاب بالصحراء الشرقية ،مقلصا نفوذ الحفصيين فيها .[2]ومانعا تجاوز المرينيين وجدة غربا، [3] جاعلا بلاد المغرب تبدو على هيئة حدودها الحالية أو تقرب منها وخاصة الجزائر التي لعبت دورا هاما اقتصاديا واجتماعيا الى غاية نهاية القرن الميلادي الرابع عشر /08هـ .[4]

وانتهت حياته على يد إبنه أبي تاشفين الأول الذي ورث عنه أوسع ما ملكه الزيانيون .[5] الذي ما لبث أن لقي المصير نفسه على يد السلطان المريني أبي الحسن، بعدما تمكن هذا الأخير من غزو تلمسان في سنة 737هـ/1337م وإخضاعها للمرينيين .[6] فاختفت بهذا الغزو الدولة الزيانية إلى غاية إعادة انبعاثها على يد أبي سعيد عثمان الثاني[7] .ورغم قصر فترة حكم هذا الأخير (749-753هـ/ 1348-1352م) إلا أنها تميزت بالإستقلال عن الولاء الحفصي و المريني .

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن نفس المصدر ،ص 80.، ابن خلدون يحي ،المصدر السابق ،ص 207
2. بوعزيز يحي ، المرجع السابق .
3. رشيد بورويبة واخرون ،**الجزائر في التاريخ** ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 384.
4. Balta Baul,avec la colaboration de Rulleau Cloudine ,**Le Grand Maghreb**,editions la phomic ,7rue colonel haoues ,alger . 1990. P 82
5. عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي ،المرجع السابق،ص131
6. ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ج 7،ص 88.
7. يعد هذا بداية حكم أبناء يحي بن يغمراسن ونهاية حكم ابناء عثمان بن يغمراسن (أنظر :الملحق جدول رقم 1).

ثم جاء عصر السيادة المطلقة لبني زيان ،وإحكام النظام في كل المجالات في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني الذي حكم من 760هـ/1359م إلى 791هـ/ 1389م –وكان حكمه بعد الإحتلال المريني الثاني للمغرب الأوسط على يد أبي عنان –.وهو الذي عرف في عهده تنظيم الدولة الزيانية إلى عمالات .[1]إلى أن هلك على يد ابنه أبي تاشفين الطامح للملك ، قرب جبل بني راشد في 791هـ/1389م . لتبدأ الدولة مرحلة التدهور والتقهقر التي دامت أكثر من قرن ونصف [2].

الضعف والانهيار :

تتابعت الغزوات المرينية والحفصية على تلمسان التي كانت في حال من الضعف لا تقوى فيه على حرابهم [3] . رغم محاولات بعض سلاطينها مثل أبي مالك عبد الواحد الزياني 814هـ -827هـ/ 1411م-1424م [4].حيث كان الخطر في هذه الفترة محدقا بها من الجهات الأربعة (جارتيها من الشرق والغرب ،وحملات الفرنجة على الساحل شمالا، وخطر الجماعات– البدوية العربية – من الجنوب والغرب) .[5] وهو ما عجّل بانهيار الدولة.

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،نفس المصدر ، ص 107 وما بعدها ، بوزيان الدراجي ، المرجع السابق ،ص 34و 188.
2. بوزيان الدراجي ، المرجع السابق ص 35.
3. عبد الرحمان الجيلالي ،**تاريخ الجزائر العام** ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ط7,1415هـ/1994م ،ج2، ص189-199.
4. يحي بوعزيز ،المرجع السابق ص 72.
5. حسين مؤنس ،المرجع السابق ، ص 129.

فقد أصبحت عاجزة عن حماية ثغورها المستنجدة بالأتراك ،الذين أتوا على ما تبقى من الحكم الزياني في 964هـ/1556م[1].

انعكست التطورات السياسية التي مرت بها الدولة الزيانية إنعكاسا واضحا على النشاط الزراعي والمزارعين ، فقد كان هذا النشاط يزدهر بازدهار الدولة واستقرارها ، لما يصرفه حكامها من جهود في إقرار الراحة وتوفير المساعدات، لتنشيط فَلْحِ الأرض كشق قنوات الري ،مثل ساقية النصراني وبناء الخزانات المائية مثل الصهريج الكبير [2] ،فقد سجلت الدولة في عهد يغمراسن وبعده عناية فائقة بترقية أساليب الفلاحة واستخراج المياه واستجلابها [3]، ليرقى المجتمع الذي عُرف عنه حبه للتجارة وعشقه للفلاحة [4] .

يمكن إذن اعتبار النشاط الزراعي العمود الفقري للاقتصاد الزياني[5]. فكانت الفحوص معمورة زاهية بأنواع الغروس والزروع، و الجنات تحيط بالمدن على أميال بها البقول، والفواكه ، والرياحين .[6]

---

1. رشيد بورويبة وأخرون ،المرجع السابق1984، ص 522 ،مختار حساني ، المرجع السابق ج1،ص49.
2. محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** ،تحقيق علي الزاوي ومحمد محفوظ ،دارالغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ط 1 ،1988،ج1، ص 75.
3. عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي ،المرجع السابق،ص133.
4. عثمان الكعاك ،**المرجع السابق**،صفحة 242.
5. بوزيان الدراجي ،نفس المرجع ،ص 208.
6. عثمان الكعاك .المرجع السابق ،صفحة 242.

فقد حرص يغمراسن على حسن مراعاة الزرّاع في الأراضي الواقعة تحت نفوذه ،فوفر لهم الأمن وخفّف عنهم الجبايات ، فأحبوه وتعلقوا به[1] ، و حسب صاحب البغية فإن طبقة الزُرّاع هم غالبية سكان مملكة بني زيان حيث يقول : " وغالب تكسبهم – أي سكان تلمسان – من الفلاحة وحَوْكِ الصّوف. [2] ذلك لأن إنسان العصور الوسطى لم يكن يعتمد في حياته إلا على الزراعة، أما الاعتماد على الصناعة فلم يظهر إلا في العصور الحديثة التي يؤرخ لها بظهور حركة التصنيع [3] . إلا أن تدهور الدولة وخاصة في آخر عهدها – القرنين الثامن والتاسع الهجريين، إلى بداية القرن العاشر للهجرة /الرابع عشر والخامس عشر ميلاديين –،إنعكس على تقهقر الإقتصاد وسوء الأحوال المعاشية ،نتيجة انقسام أفراد الأسرة الزيانية الحاكمة ،بين طامع في الملك ومعارض له ،وقاتل القويُ الضعيف [4]،واستعان بعضهم على بعض بالعدو الخارجي . إضافة إلى الغزو الإسباني لسواحل المغرب الأوسط وهي أسباب أدت إلى إفقار ريف المغرب الأوسط من السكان ، وشيوع الفوضى وانعدام الأمن .

---

1. حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص 140.
2. يحي بن خلدون ، المصدر السابق 93، محمود بوعياد ،**جوانب من الحياة في المغرب الأوسط** ، الشركة الوطنية ،للنشر التوزيع ،الجزائر ،1982،ص33.
3. رشيد بورويبة وآخرون ،المرجع السابق ص 490
4. مولاي بلحميسي ،نهاية دولة بني زيان ،مجلة الأصالة ع 26سنة 1975،ص19.

وغدت بلاد مثل دلس وهنين مجرد خراب [1] . هنين هذه التي وصفت في ما سبق بأنها أكثر حصون ساحل تلمسان بساتين وضروب ثمر [2]. و أصبح الحكم المركزي في تلمسان على آخر عهده دون سلطة ،ولا صلة مع بقية الجهات.[3] فعرف المغرب الأوسط في نهاية القرن الخامس عشر م / 9هـ استقلال عدة أقاليم منها: تنس و المدية وبجاية وغيرها [4]. وزاد في ضعف هذ الحكم غزوات القبائل العربية .كما قال صاحب نزهة الأنظار ،عن المنطقة الواقعة بين بجاية والقلعة – حماد – المشهورة بالفواكه واللحوم الكثيرة والجنات والبساتين [5] "وهذه الأرض كلها تجولها العرب وتضر بأهلها ...وأيدي العرب مطلقة فيها بالإضرار"[6] .

---

1. ناصر الدين سعيدوني ، **دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،ط1 ،2000م ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت لبنان ،ص 558.
2. عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي ،المرجع السابق،ص132.
3. مولاي بلحميسي ،نفس المرجع ،ص19.
4. Kaddache Mahfoud,**L'ALGERIE MEDIEVALE** , ,entreprise nationale du livre,3bd ,ziroud yousef,alger,2eme edition,p181-182 ,
5. محمود مقديش ،المرجع السابق ،ص 95.
6. محمود مقديش ،نفسه.

وقال المازوني " ونظرا لغلبة طابع البداوة عليهم —القبائل العربية — بحيث أثرت على سلوكاتهم وبالتالي احترفوا أعمالا شنيعة من نهب وسلب وإغارة على القبائل وقطع الطرقات على المساكين وسفك دمائهم ونهب أموالهم بغير حق "[1] .وهنا نفرق بين قسمين من العرب : العرب المستقرون الذين يعيشون على الزراعة ،والذين اختلطوا مع الزناتيين و العرب الرحل أو الأعراب.[2] الذين بقوا على حالتهم البدوية وهؤلاء هم الذين مثّلوا خطرا دائما على استقرار السكان والمزارعين البسطاء سواء في الرّيف أو في المدينة. وقُدّر عددهم أحيانا بأكثر من عشرة آلاف رجل ما بين فارس وراجل [3] . لم يكن هذا التدمير والسلب مقتصرا على العرب ،فقد كانت القبائل الزناتية التي تعيش على حرفة الرعي من العناصر التي لم تنتظم تحت السلطة الزيانية . وتقوم بتهديد أمن المجتمعات الآمنة.[4]

---

1. المازوني (أبو زكرياء يحي المغيلي) ،**الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ،تحقيق حساني مختار ،نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات ،جامعة الجزائر ،2004،ج3،ص 309.
2. عبد الحميد القادري ،**التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب**،الملتقى التاريخي الثالث ،منشورات جمعية الوفاء للشهيد ،متحف المجاهد تقرت ،ط 1 ،23-24أفريل 1998،ص21.
3. المازوني ،المصدر السابق . 309.
4. يسرى الجوهري، المرجع السابق ص92.

يضاف إلى ذلك كله تعسف السلاطين في استخلاص الضرائب التي أثقلت الكواهل في فترات الضعف أو الحصار . وفي حال امتنع أهل القرى عن دفعها ،يخرج السلطان بنفسه أو أحد أولاده على رأس فرقة عسكرية لأخذ الضرائب بالقوة ،وكثيٌر منها يُدفع غلاّتٍ وخاصة من القمح والشعير، بمقدار عشر المحصول ، ومواد مختلفة ،لتجمع في مخازن الدولة لتموين الجيش أو توزيعها على الأهالي أيام المجاعة[1] ،وأوقات الحرب والحصار . مثلما هو حال الحصار المريني الأول لتلمسان عندما سَألَ السلطان أبو زيان الأول محمد بن عثمان خازن الزرع : كم بقي من الأهراء و المطامير المختومة سنة 706هـ/1307م . أو بيعها في ا لأيام العادية. [2] وتصدق نظرية ابن خلدون مرة أخرى على الدولة الزيانية :في أن الدولة في نهاية عهدها تثقل السكان بالضرائب[3].

وبهذا فقد تأثرت الزراعة بالأوضاع السياسية للدولة الزيانية، فكانت المزروعات تتعرض للدمار والسلب والنهب من قبل المهاجمين لمدينة تلمسان والمنطقة ،إذ تركزت حملات الغزاة وغارات القبائل على حرمان المدينة من المنتجات الزراعية بتدمير المزارع وقطع الأشجار . يذكر صاحب الأنيس المطرب عن غزو بني توجين تلمسان "وضيقت قبائل توجين بمدينة تلمسان لأخذ ثأرهم ،فقطعوا الثمار والجنات وخربوا الديار وأفسدوا الزروع ،حتى لم يدَعوا بتلك النواحي قوت يوم."[4]

---

1. رشيد بورويبة وآخرون ،المرجع السابق ،ص487..
2. بن خلدون عبد الرحمن، العبر ج 7 ،ص96 .
3. المقدمة ،ص223.
4. ابن ابي زرع ،المصدر السابق ص 311.

وقال عن خروج أمير المرينيين أبي سعيد عثمان إلى تلمسان " وسار هو بمحلته خلفهما- يقصد خلف ولديه أبي الحسن علي و أبي علي عمر - في بلاد يغمراسن يأكلون زروعها وينهبون أموالها ويقتلون حماتها [1].

وازداد أمر تلمسان والمغرب الأوسط سوءًا في عهد السلطان المريني أبي الحسن ،ورغم أنه عجز عن الاستيلاء على بجاية ثلاث مرات ،فقد خرّب المزارع والأشجار والمراعي والنخيل ،التي كانت خاصة أناس بسطاء يفقدون كل ما يملكون بأمثال هذه الغارات ،وقلّ ما تنبت شجرة بعد أن تقطع. فالنخلة تحتاج إلى عشر سنوات لتنمو و تثمر ، وشيئا فشيئا نجد هذه الأراضي الخصبة الواسعة تتعرى مما عليها من الأشجار ،وتتعرض التربة تحتها للتدهور ثم تذروها الرياح أو تكتسحها الأمطار ، ويصبح السهل خرابا [2] .

وقبلها حوصرت تلمسان حصارا طويلا إمتد ثمانية أعوام ،إستطاعت المدينة أن تصمد خلالها .ولكن سهولها البهيجة التي تحدث عنها الرحالة زالت وخُرِّبت وجاع أهلها حتى بيعت الكلاب والقطط والفئران والثعابين لتكون قوتا للجائعين .[3]

---

1. ابن ابي زرع ،المصدر السابق ص399.
2. حسين مؤنس ، المرجع السابق ،ص 143.
3. حسين مؤنس ، نفسه.

وعموما تعرضت الدولة الزيانية في أغلب فترات حكمها، للغزو من جيرانها الحفصيين من الشرق ،و المرينيين من الغرب. وعرفت حالة غلب عليها التوتر والعداء في جميع مراحلها .مما حتّم على المجتمع التلمساني، وبني زيان حياة الصمود والتصدي والمقاومة المستمرة ،بحيث تكرر غزو تلمسان وسقوطها مرات عديدة في يد بني مرين وبني حفص .[1]وغالبا ما كان الدافع الأساسي لنشوب النزاعات هو الصراع على المراعي ومنابع المياه ،وسرقة المواشي، فضلا عن نزاعات التفوق وخصام رعاة المواشي الذي تسيل فيه الدماء ،وتقوم لأجله حالات المطالبة بالثأر التي لا تنتهي . [2]

---

1. عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص372
2. شارل أندري جوليان ،**تاريخ افريقيا الشمالية** ،من الفتح الاسلامي الى سنة 1930م ،تعريب محمد مزالي /بشير بن سلامة ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، ص 211.

النشاط الزراعي :

جاء في لسان العرب أن أصل الزراعة من الفعل زَرَعَ الحبَّ يزرعه زرعا وزراعة : أي بذره ،واسمه الزَّرْعُ وقد غلب على البُرّ والشعير ،وجمعه زُروع ،والزرع هو كل شيء يُحرث ،وقيل الزرع طرح البذر . [1]ومنه الزُّرْعَةُ: بالضم البذرُ والزريعة :وهي ما يبذر في الأرض أما الزرِّيع فهو ما ينبت في الارض مما يتناثر فيها أيام الحصاد من الحب .أما في كتب التفسير فهي تحمل معنى الإنبات لا البذر في قوله تعالى " أَ فَرَأَ يتم ما تَحْرثون أأنتم تَزْرَعُونهُ أمْ نحن الزارعون " [2] .قال ابن كثير في قوله (أفرأيتم ما تحرثون)"هو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها . أما قوله تعالى: (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) أي نحن من يقره قراره وننبته في الأرض " [3].وقال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون)"من الطعام أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه ،وفي قوله قوله تعالى (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)تنبتونه وتردونه نبتا يرف وينمى إلى أن يبلغ الغاية". [4]

---

1. ابن منظور الافريقي المصري ،(ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، **لسان العرب** ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،الطبعة السادسة 1417هـ -1997م ، الجزء الثامن ،ص 141.
2. سورة الواقعة آية 63-64.
3. ابن كثير الدمشقي ،الامام الحافظ عماد الدين أبي الفدا اسماعيل المتوفى سنة 774هـ ،**مختصر تفسير ابن كثير** ، اختصار وتحقيق محمد على الصابوني ،شركة لشهاب الجزائر ،ط 1410هـ/1990م المجلد الثالث ،ص437.
4. الزمخشري ،**تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ،تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر ، دار المصحف ،القاهرة ، د ط الجزء السادس ، ص77.

أما الفلاحة فهي من الفعل فَلَحَ والفلح : الشَّقُّ والقطع ،فَلَحَ الشيء يَفْلَحُه فَلْحاً :شَقَّهُ. ومنه قول الشاعر :

قد عَلِمَتْ خيلُك أَني الصَحْصَحُ

إن الحديد بالحديد يُفْلَحُ . [1]

والفِلاحة ،بالكسر :الحِراثة .وجاءت في القاموس المحيط بالفتح أي الفَلاَحة . [2]

قال شُريح بن بُجير بن أسعد التغلبي :

وَعَنْتَرَةُ الفَلْحَاءُ جاء ملأَّماً

كأنه فِندٌ، من عَماية ،أسْوَدُ. [3]

مصطلح الفلاحة اذن هو: إصلاح الأرض وغِراسة الأشجار فيها وتركيب ما يصلح منها للتركيب ،وزِراعة الحبوب المعتاد زراعتها بالأرض وإصلاح ذلك وإمداده بما ينفعه ويجوده وعلاج ما يعرض له بما يدفع بمشية الله الآفات عنه .[4]

---

1. ابن منظور الافريقي المصري، المصدر السابق، الجزء الثاني ،ص 548؛ الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ،المتوفى سنة 817هـ ، **القاموس المحيط** ،ضبط وتوثيق ،يوسف الشيخ محمد البقاعي ،اشراف مكتبة البحوث والدراسات ،دار الفكر ،للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،ط 1420هـ/ 1999م ، ص 213.
2. الفيروز آبادي مجد الدين محمد ،نفس المصدر .
3. ابن منظور الافريقي المصري، المصدر السابق،ص 548
4. سليمان فياض ، **ابن العوام عالم الزراعة** ،منشورات anep ، 50شارع خليفة بوخالفة الجزائر ، ط1 ،2006 ، ص 18.

أحسن ابن خلدون تعريف الفلاحة بقوله :" هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب ،بالقيام على اثارة الأرض لها و ازدراعها ،وعلاج نباتها ،وتعهده بالسقي والتنمية الى بلوغ غايته ،ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك ،وتحصيل أسبابه ودواعيه ..."[(1)]

ومنه فالنشاط الزراعي :هو العناية بالأرض و فلحها ،أي الجهد المبذول لإنتاج المحاصيل النباتية وتربية الحيوان عن طريق استثمار الإمكانيات الطبيعية والبشرية [(2)]

أما الرِّعْيُ : فهو الكلأ وهو بالكسر في القاموس المحيط ،والراعي كل من وَلِيَ أمر قوم ج:رُعاَةٌ و رُعْيانٌ ورُعاءٌ. [(3)]. فالزراعة عموما هي : الجهد المبذول لاستثمار الإمكانات الطبيعية والبشرية لتحصيل الانتاج النباتي والحيواني .[(4)] ومنه يمكن القول أن الرعي هو أحد فروع النشاط الزراعي.

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة،ص509.
2. علي أحمد هارون، **جغرافية الزراعة** ، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع القاهرة ط 1: ، 2000_1420هـ ، ص21.
3. الفيروزآبادي مجد الدين ، ، المصدر السابق، ص 1160 . ،
4. علي أحمد هارون، المرجع السابق ، ص21.

أهمية النشاط الزراعي :

جاء في صحيح مسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم "من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر "فقالت بل مسلم فقال "لايغرس مسلم غرسا ولايزرع زرعا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شيء الا كانت له صدقة "[3]
وفي شرح هذا الحديث قال النووي أن الزراعة هي أطيب وأفضل المكاسب التي يتكسب منها الإنسان .[1] وصنفها ابن خلدون من أمهات الصنائع[2]،وقال في فضلها أنها :"...أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا إذ يمكن وجوده من دون جميع الأشياء الا من القوت ..."[3]

إضافة الى أن الزراعة كانت سببا لاستقرار الإنسان الأول لمزاولة هذا النشاط للوفاء بالحاجة الغذائية دونما ترحال ،وادخار ما يفيض عنها لموسم طويل . فظهرت مواقع السكن والعمران الأولى على ضفاف الانهار وفي السهول الخصيبة .[4]

---

1. النووي ،المصدر السابق ،ج9و10 باب فضل الغرس والزرع ،كتاب المساقاة،ص472.
2. ابن خلدون عبد الرحمن. المصدر السابق ،ص508.
3. المصدر السابق ،ص 509.
4. علي أحمد هارون، المرجع السابق ،ص36.

اعتمد الإنسان على الزراعة اعتمادا بالغا في حياته اليومية ،فقد كان المأكل ،والملبس، والمأوى جل اهتماماته ؛فمن النبات يكون الغذاء ومنه يكون علف المواشي مصدر اللحوم للغذاء والجلود والصوف والأشعار للمأوى والكساء .ثم أصبحت الزراعة مرتبطة بالنشاط الصناعي مثل المنسوجات وصناعة الورق والأثاث والعقاقير الطبية و الزيوت، لما تدره على الصناعة من خامات زراعية ،كالقطن والمطاط الطبيعي وقصب السكر والخضر ونباتات الزيوت والأخشاب والفلين (4)

1. علي أحمد هارون، المرجع السابق،ص 40.



الفصل الثاني

مقومات النشاط الزراعي

في المغرب الأوسط

الفصل الثاني :

مقومات النشاط الزراعي

1- العوامل الطبيعية :

التضاريس

المناخ

المياه

التربة .

1-العوامل البشرية :

عناصر السكان ودورهم في الزراعة

دورالبربر

دورالعرب

دورالأندلسيين

دورالعبيد .

3- أنواع ملكية الأرض :

الإقطاع (القانونية ،الظهير ،الموظفة)،الأرض الموات ،الأرض الحبوس

1 – العوامل الطبيعية :

يختلف نشاط الإنسان باختلاف البيئة التي يعيش فيها ،ولاسيما النشاط الزراعي ،فالجماعات الأولى التي بدأت تستقر، وتمارس هذا النشاط ،ركنت إلى المناطق التي يساعد سطحها على ذلك .وهو ما يفسر نشأة الحضارة ، على ضفاف الأنهار الكبرى ،والمنخفضات الخصبة . ثم بدأ الزحف –الزراعي –باتجاه الصحراء أو المنحدرات الجبلية لتحويلها إلى مدرجات تصلح للزراعة ،في محاولة من الإنسان لتطويع بيئته .[1]

أ/ تضاريس المغرب الأوسط:

يتميز السطح في المغرب الأوسط بالتباين الشديد فهو منبسط جنوب جبال الأطلس الصحراوي، وشديد التضرّس في الشمال،[2] خاصة على الشريط الساحلي، الذي تتداخل فيه السهول، والجبال، والأودية، ما جعله يتميز بـ:

1-المرتفعات : و تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي مكونة السلسلة التلية في الشمال ،وسلسلة الأطلس الصحراوي، في الجنوب .تفصل بينهما الهضاب ،والسهول العليا.

---

1. محمد ابراهيم حسن ،**دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط** ،مركز الاسكندرية للكتاب ،الاسكندرية ،1999،ص 271.
2. شوقي ضيف ،**عصر الدول والامارات ،الجزائر ،المغرب الاقصى موريتانيا السودان** ، دار المعارف ،القاهرة ،الطبعة 1 ، ص19و20، موسى هواري ،**تربية الحيوانات ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين** (ق 1-7هـ/ 7-13م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،إشراف د/ بن عميرة محمد جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ،2008-2009 ،ص 22.

جبال الأطلس التلي:

تمتد شمال المغرب الأوسط ومن أهمها: جبال تلمسان التي يبلغ ارتفاعها 1556متر وجبال ونشريس ويصل علوها 1985 متر ،وجبال الظهرة التي ترتفع حوالي 1071متر ،إلى جبال جرجرة على ارتفاع 2308متر، وجبال سوق أهراس في الشرق .[1] ويلاحظ أن ارتفاع هذه الجبال بيّن واتساعها يزداد نحو الشرق، وتمثل لالا خديجة بجبال جرجرة أعلى قممها (2308متر).[2]وتمثل هذه السلسلة الجبلية حاجزا طبيعيا يقلل من توغل المؤثرات البحرية نحو المناطق الداخلية .كما تؤثر في توزيع التساقط من الشمال إلى الجنوب، ويتخلل هذه الجبال سهول عديدة ضيقة ،لكنها ذات مردودية فلاحية عالية. كما تصلح سفوح هذه الجبال للرعي . [3]

جبال الأطلس الصحراوي:

ظهرت جبال الأطلس الصحراوي في الزمن الجيولوجي الثاني وأوائل الزمن الثالث. [4] وهي على شكل كتل منفصلة موازية للأطلس التلي ،وتمتد على طول 700كم ،من فجيج غربا إلى إقليم الزاب شرقا .[5]

---

1. محمد الهادي لعروق وسمير بوريمة ،**أطلس الجزائر والعالم** ،دار الهدى ،د ت ط ،عين مليلة الجزائر،ص13.
2. نفسه، عبد العزيز الغريري وآخرون ، ،**جغرافية الوطن العربي** ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1 ،1420 هـ/1999م، ص 54.
3. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2، ص10
4. محمد الهادي لعروق ،نفس المرجع ؛ لطيفة بن عميرة ، **الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية** ،مجلة الدراسات التاريخية ،جامعة الجزائر معهد التاريخ ،العدد 8، 1994/1993 ،ص71.
5. محمد الهادي لعروق ،نفس المرجع والصفحة .

وأهم جبالها القصور التي يبلغ ارتفاعها 2263متر وعمور بارتفاع 2008متر ،وأولاد نايل على ارتفاع 1570متر ،والأوراس إرتفاعها عند قمة شيليا 2328متر وهي أعلى قمم هذه السلسلة[1] . هذه الجبال تمثل حاجزا حقيقيا أمام زحف الرمال من الجنوب نحو الشمال وخطا فاصلا بين المناخ الصحراوي جنوبا ومناخ البحر الأبيض المتوسط شمالا.

2- السهول: يحتوي الإقليم الشمالي للمغرب الأوسط على سهول عديدة يمتد بعضها على طول السواحل البحرية ،في حين يقع البعض الآخر منها في الداخل. ورغم ضيق وصغر مساحتها فإنها تكوّن أهم المناطق حيوية وأشدها كثافة سكانية.

السهول الساحلية: هي سهول تتصل بالبحر شمالا ضيقة ،تقطعها الحواف الشمالية لجبال الأطلس التلي، تتميز بحداثة التكوين ،تربتها فيضية ،رسوبية ،منقولة من سفوح الجبال التي تطل عليها . و تخترقها أودية عديدة[2] . وأهم هذه السهول:

- سهل وهران: يمتد جنوب مدينة وهران، ويصل إلى جبال مليانة ،التي تفصله عن سهل متيجة ، تتخلله عدة أودية ،أهمها واد شلف . أطلق عليه الحسن الوزان اسم :إقليم بني راشد مساحته " نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا ،جهته الواقعة جنوبا كلها سهول "[3] .

1. البكري ، المصدر السابق ،ص50 ، الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2، ص 43_46 وص 101_104،محمد الهادي لعروق ،نفس المرجع : حيث أخطأ عز الدين احمد موسى عندما رسم جبال أوراس في الكتلة الغربية للأطلس التلي ،(أنظر : عز الدين أحمد موسى ، عز الدين احمد موسى ،**النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي** ،دار الشروق بيروت ، ط 1، 1403 هـ/ 1983 م ،الخريطة ،ص 50.)
2. عبد العزيز الغريري وآخرون ،المرجع السابق ، ص 67.
3. الحسن الوزان ، المصدر السابق،ج1،ص 26.

- سهل متيجة : طوله حوالى خمسة وأربعين ميلا وعرضه ستة وثلاثون ميلا ،ويشتهر بإنتاج "القمح الجيد" [1] وينحصر بين الأطلس المتيجي (البليدي) من الجنوب وجبال مليانة من الغرب.

-سهل عنابة الذي تحصره جبال مجردة التونسية من الشرق وجبال سوق أهراس من الجنوب وهو سهل ضيق يجري به واد سيبوس .[2]

-سهل وجدة الذي تحده من الغرب هضبة أنجاد ،وإلى الشمال الشرقي سهل هنين و ندرومة .[3]

السهول العليا:

تقع بعيدة نسبيا عن السواحل وهي منحصرة بين الجبال على شكل أحواض مغلقة ومنعزلة ،وغالبا ما تكون متقطعة على شكل تلال وتأتي في نفس الأهمية للسهول الساحلية من حيث خصوبة الأراضي ،ودورها الزراعي، ومن أهم هذه السهول:

- سهول تلمسان: على ارتفاع 806متر[4] وأهمها سهل المنية وسهل العبّاد[5]

---

1. الحسن الوزان ،المرجع السابق ج1،ص 26.
2. حليمي عبد القادر علي ، **جغرافية الجزائر طبيعية بشرية اقتصادية** ،مطبعة الانشاء ،دمشق ،سوريا ،ط 2 ،1968م،ص34.
3. لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق ص72؛ قال حسين مؤنس عن وجدة أنها كانت دائما من بلاد بني عبد الواد ، (أنظر:المرجع السابق ،ص 144).
4. الحسن الوزان ،نفس المصدر ،ج 1 ،ص 10و25 ؛ شارل أندري جوليان ،المرجع السابق ،ص 201.
5. الحسن الوزان ،نفس المصدر ،ج 1 ،ص 27؛ عبد الحميد حاجيات ، **أبو حمو موسى الزياني ،حياته وآثاره** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2، ص211.

وسيدي بلعباس يمتد إلى الشرق من سابقه وهو على ارتفاع 583مترا ،ثم سهل سرسو و قسنطينة .وتمثل هذه السهول إلتواءات مقعرة ملأتها الرواسب الفيضية في الزمن الجيولوجي الرابع وهذه الترسبات هي التي جعلتها سهولا مرتفعة .[1]

3-النجود: هي أراضي مرتفعة تكونت مع السلاسل الجبلية المجاورة لها ؛غير أنها قاومت الحركات الباطنية التي تعرضت لها ،ولم يظهر أثرها إلا في تموج بعض الأماكن من سطحها [2].وهي تمتد ما بين ملوية غربا و جبال الحضنة شرقا على مسافة 850 كلم ،وينحدر سطح هذه النجود نحو أحواض مغلقة، تتجمع فيها مياه الأودية القليلة عند سيلانها مكونة ما يسمى بالشطوط أو السبخات أهمها الشط الشرقي وشط الحضنة.[3] وهي واسعة غربا تمتد من تلمسان إلى فجيج.[4]وتضيق نحو الشرق، وتظهر أهميتها في زراعة الحبوب ،وتربية المواشي منذ القديم ،[5] لأنها تزخر في فصل الربيع بأنواع كثيرة من النباتات والزهور ذات الألوان الزاهية.[6] ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر 900 متر. وهي اقل خصوبة لفقر التربة والجفاف .[7]

---

1. محمد الهادي لعروق ،المرجع السابق ،ص13؛ لطيفة بن عميرة ،المرجع السابق ،ص71-72.
2. محمد الهادي لعروق ،نفس المرجع،ص13.
3. محمد الهادي لعروق ،نفس المرجع،ص13.
4. حسين مؤنس المرجع السابق ،ص 144.
5. محمد الهادي لعروق ،نفس المرجع،ص13.
6. محمود السيد ،المرجع السابق ،ص 141.
7. لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق،ص72.

وقد اهتم المزارعون بأنواع التربة ،حيث ذكرت كتب الفلاحة حوالي عشرة أنواع ، منها : اللينة ،والغليظة .والسوداء ،والبيضاء ،والحرشاء ،والجبلية والرملية ،والكذنة ، والصفراء، والحمراء، [1]وطبائعها مختلفة . و فُضِّلت التربة السوداء، والحمراء على البيضاء والصفراء، وآخرها التربة الرملية التي تزداد حرّا في الصيف وبردا في الشتاء ، كما فُضِّلت التربة الرطبة التي ينبت فيها كل مزروع ومغروس .وهناك تربة المرتفعات على سفوح الجبال المناسبة للحنطة ،والذرة ،والدخن ،والعدس[2] . وشجر الجوز والبندق والزيتون ،بعدما تزال صلابتها بكثرة تقليبها بالحرث[3] . وعموم تربة إقليم تلمسان خصبة ،[4]تتدرج من الخصوبة على الشواطئ وضفاف الأنهار إلى تربة سفوح الجبال التي تعد أقل خصوبة وسمكا .

---

1. معمر الهادي محمد القرقوطي نقلا عن ابن ليون التجيبي، **الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين** (668-869هـ/1269-1465م)أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ،اشرف عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ، السنة الجامعية ،2007-2008م ،ص57.
2. ابن العوام الاشبيلي (ابو زكريا يحي بن محمد بن أحمد) ،**كتاب الفلاحة** ،وهو كتاب مزدوج اللغة ،عربي اسباني ،أخرجه وترجمه –الى الاسبانية – د جوزيف أنتونيو ،المطبعة الملكية الاسبانية ،مدريد .ج1، ص ص 108-124.
3. ابن العوام الاشبيلي ،المصدر السابق ،ج1،ص140
4. دائرة المعارف الإسلامية ،المرجع السابق ،ج5ص454

مظاهر سطح القسم الجنوبي:

بهذا الإقليم صحراء واسعة تمتد من ليبيا شرقا إلى المغرب الأقصى وموريتانيا غربا وهي جزء من الهضبة الإفريقية وأهم المظاهر التضاريسية لهذا الإقليم هي:

الهضاب الصحراوية: أو الحمادات تغطيها صخور جيرية رملية ،وأهمها التي تنحدر تدريجيا من السلاسل الأطلسية نحو الصحراء و منها هضبة تادمايت ويبلغ ارتفاعها 836متر ،في وسط الصحراء وهضبة الدراع في غربها .[1]

الأحواض: وهي منخفضات واسعة و في بعض الأحيان عميقة جدا تحتل سطحها كثبان رملية ناعمة يطلق عليها اسم العرق وأهمها العرق الشرقي الكبير ويتراوح ارتفاعها بين 260 و 500مترا و تنخفض عند شط ملغيغ الواقع بين مدينة بسكرة ومدينة الوادى بالشرق ،الذي تنتشر فيه أهم الواحات : واحة وادي ريغ و واحة وادي سوف و واحة الزيبان . والعرق الغربي الكبير ويقع في الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية، و يتميز بالإنخفاض عن سطح البحر .[2]

السهول الصحراوية: وهي مساحات واسعة خالية من مظاهر الحياة، تغطيها الحصى والصخور الصلبة ،يطلق عليها إسم الرق، وأهمها سهل تانزروفت في أقصى الجنوب .

الجبال: تشغل مساحة ضيقة ،و هي بقايا بركانية قديمة تظهر على شكل قباب بلورية فوق سطح هضاب قديمة وأهمها: جبال الهقار وأعلى قممها تاهات 2918 متر .[3]

---

1. محمد الهادي لعروق ،المرجع السابق، ص15.
2. نفسه.
3. عبد العزيز الغريري وآخرون ، المرجع السابق ص 68 ؛حليمي عبد القادر ،المرجع السابق ، ص49.

وما يمكن الإشارة إليه أن هذه الخصائص تتشابه بين بلدان المغرب الإسلامي ،وأنه كما كان البحر الرومي (المتوسط) وسيلة للمواصلات البحرية ،كانت الصحراء وسيلة للمواصلات البرية ،نتيجة لما يتخلل الأطلس الصحراوي ،من أودية، ومنخفضات ،شكلت على مر الزمن مسالك للمواصلات والتجارة .[1]

ب/ المناخ :

المطر هو المصدر الرئيس الذي يزود كل أشكال الموارد المائية ، وهو العامل الأساسي للنشاط الزراعي الذي يعتمد على مياه الأمطار بشكل شبه تام ،لأن المساحات المروية كانت قليلة.[2]

ولهذا سيكون التركيز على مختلف المظاهر المناخية التي عرفها ويعرفها المغرب الأوسط ، فهذه المظاهر لم تتغير كثيرا خلال الفترة التي تهم هذا البحث ، والمقدرة بثلاثة قرون.

---

1. لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق ص71؛ عبد الحليم عويس ،**دولة بني حماد** ،صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ،دار الصحوة للنشر والتوزيع ،ط2 ،1991/1411م، ص77.
2. محمد الهادي لعروق ،المرجع السابق ص16.

1- العوامل المؤثرة في مناخ المغرب الإسلامي :

أ- الموقع الفلكي والجغرافي:

تنحصر أراضي المغرب الأوسط بين البحر من الشمال والصحراء من الجنوب وهو ما أثّر في خصائصه المناخية ،التي تتدرج من الرطوبة والإعتدال الى الجفاف وارتفاع المدى الحراري كلما اتجهنا جنوبا ،وعموما تميل المنطقة الى الإعتدال ، إذ يقع في الإقليم الثالث حسب عبد الرحمن بن خلدون .[1]

وتعتبر بلاد المغرب الإسلامي منطقة إتصال بين العروض المدارية جنوبا والمعتدلة شمالا .فهو يجمع بين منطقتين مناخيتين معتدلة شمالا وحارة جنوبا ،مما يؤدي إلى التقاء كتل هوائية باردة وكتل هوائية مدارية حارة متباينة تتسبب في اضطرابات هوائية ونشوء الأعاصير خاصة في فصل الشتاء. وقد أثر الموقع الجغرافي على الساحل في فصل الصيف حيث يؤدي إلى خفض درجة الحرارة. وارتفاع معدل التساقط .[2]

ب- التضاريس: موقع واتجاه التضاريس أثر كبير في التنوع المناخي خاصة في توزيع الأمطار واتجاه الرياح. فاتجاه السلسلة الجبلية التلية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ،جعل الشريط الساحلي يستفيد من المؤثرات البحرية . بَيْدَ أن جبال الأطلس التلي والتي تمتد من الغرب إلى الشرق تمثل حاجزا أمام هذه المؤثرات، ولا تسمح لها بالدخول إلى المناطق الداخلية والصحراوية، ويتضح ذلك من خلال خريطة الأمطار حيث نلاحظ أن كمية الأمطار تتناقص كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب.

1.ابن خلدون عبد الرحمن ،**مقدمة ابن خلدون** وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ،العبر . ،مراجعة الدكتور سهيل زكار ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،د ط ،1421هـ/2001م ،ص75.

2.موسى هواري ،المرجع السابق ،ص 22.

لأن الرياح الشمالية المحملة ببخار الماء تصطدم بمرتفعات هذا الأطلس [1]. مما يفسر الكميات الكبيرة للأمطار التي تسقط على السفوح الشمالية لهذه الجبال والسهول الساحلية ، والتي تفوق 1000ملم/سنويا، و خاصة السهول الشرقية لأن السهول الغربية بالجزائر تقع في ظل المطر. بفعل الكتلة الأطلسية في المغرب الأقصى التي تقف حاجزا أمام المؤثرات الشمال غربية سواء من البحر أو المحيط الأطلسي فتفرغ حمولتها قبل وصولها إلى غرب المغرب الأوسط بحمولة ضعيفة [2].

ج- الرياح: تهب على المغرب الإسلامي الرياح التجارية القارية الجافة بصفة دائمة من الصحراء بسبب وقوعها في المنطقة ما فوق المدارية أين تتراكم الرياح القادمة من خط الإستواء مشكلة منطقة ضغط مرتفع ،[3]وهي سبب الجفاف في الصحراء الكبرى . في حين هناك رياح محلية تهب من الجنوب إلى الشمال مثل السيروكو أو ما يطلق عليها محليا رياح الشهيلي وهي رياح جافة، حارة ورملية ،تصل أيام السيروكو ما بين 25- 30 يوم في السنة تبدأ في أواخر الربيع وتنتهي في أوائل الخريف وهي متلفة للغلّات الزراعية.

---

1. محمد الهادي لعروق ،المرجع السابق ص15.
2. محمد الهادي لعروق، نفسه.
3. محمد الهادي لعروق ،نفسه.

د– الضغط الجوي:

تتناوب على بلاد المغرب الإسلامي ثلاث كتل هوائية يمكن إيجازها في:

– الكتلة الأوراسية في الشمال و الشمال الشرقي– الكتلة الأوزورية من الشمال الغربي في اتجاه الشرق– الكتلة المدارية في الجنوب. وعلى هذا الأساس يتبين أن حوض البحر المتوسط هو الذي يجلب كتلة الضغط المرتفع الأوزوري [1] . وهذه الكتل الثلاثة هي التي تكيف مناخ المغرب الإسلامي، ونظرا لوقوع المغرب الأوسط بالقرب من منطقة الضغط الأوزوري المرتفع فهو عرضة لخروج الرياح العكسية الغربية وسقوط الأمطار على شماله في فصل الشتاء.

ه – الحرارة :يتأثر توزيع الحرارة في المغرب الأوسط بالقرب والبعد عن سطح البحر وبالطبيعة السهلية والجبلية ،ولهذا يقل المدى الحراري في الشريط الساحلي ويزداد باتجاه الجنوب ،يزداد حرّ الصيف وقرّ الشتاء . حيث ذكر البكري عن تاهرت أن بها بردا شديدا، فهي من المناطق الداخلية. [2]

وتتأثر الحاصلات الزراعية بشكل كبير بدرجة الحرارة ، فالأشجار المثمرة ترتبط بالإعتدال في الحرارة وبكمية الأمطار ،[3] و لهذا تسمى بالمحاصيل المتوسطية ،والحبوب تحتاج تربة خفيفة ،وفترة من الجفاف ،والحرارة لتنضج، وخاصة القمح .ولهذا نجد السهول العليا الداخلية بيئة مناسبة له ،أما النخيل فتمثل الواحات الصحراوية بيئة جيدة له لطول جذوره ،وحاجته لدرجة حرارة عالية ،ليثمر[4] .

---

1. محمد الهادي لعروق ،المرجع السابق ص15.
2. البكري ،المصدر السابق ،ص 67.
3. علي أحمد هارون ،المرجع السابق،ص90.
4. أنظر :ملحق رقم 7 (جدول درجات الحرارة الملائمة لكل محصول)

2- الأقاليم المناخية:

حسب العوامل السابقة يمكن تقسيم المغرب الأوسط إلى ثلاث أقاليم مناخية متباينة من الشمال إلى الجنوب:

أ-مناخ البحر الأبيض المتوسط: يسود المنطقة الشمالية ،الممتدة من البحر إلى السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية التلية ،ويتميز بصيف حار وجاف وشتاء دافئ ومطير. ويمكن أن نميز في نطاقه بين منطقتين:

أ- منطقة ساحلية رطبة: تقتصر على السواحل الشرقية ، وهي أكثر المناطق أمطارا ورطوبة هذا النطاق يمتد من مدينة تنس إلى القل حيث ينعدم الجليد نسبيا. تتلقى أمطارا وفيرة تزيد عن 1000 ملم في جبال جرجرة والبابور ،وتصل إلى 2000مم في القل ، ويدوم فصل التساقط أربعة أشهر في السنة. من ديسمبر إلى مارس الذي يمثل نسبة 3/2 من التساقط السنوي ،ويزيد تساقط الثلوج فيها عن عشرة أيام في السنة.[1] ثم المناخ الساحلي الغربي في منطقة وهران وهو جاف نسبيا لوقوعه في ظل المطر، و يصل معدل التساقط به إلى 700مم [2]، ويمتد فصل الصيف به 5 أشهر، من 15ماي إلى 15 أكتوبر.

ب- منطقة داخلية شبه جافة: تمتد جنوب المنطقة السابقة أي من السفوح الجنوبية للأطلس التلي إلى السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي وتشمل السهول والهضاب الداخلية وأراضي الإستبس . يعتبر مناخ هذه المنطقة انتقاليا بين مناخ البحر المتوسط في الشمال والمناخ الصحراوي في الجنوب.

---

1. محمد الهادي لعروق ،المرجع السابق ص17.
2. نفس المرجع ،ص18 .

وبه كميات من الأمطار تتراوح بين 300- 500 ملم . [1] وهي متذبذبة وغير منتظمة ،وتُعرف هذه المنطقة بكثرة الجليد الذي غالبا ما يدوم بها من 30الى 45 يوما في السنة. وتمتد إلى فترات أطول في الجبال ،والمدى الحراري بها مرتفع لبعدها عن سطح البحر. وفي هذا النطاق تسقط الثلوج في الشتاء على الجبال، والمناطق المرتفعة . وصف البكري انخفاض درجة الحرارة بأحد مناطق هذا الإقليم وهو تاهرت بقوله : [02]

مـــا أخشن البرد وريعانه وأطرف الشمس بـتاهرت

تبدو من الغيم اذا ما بدت كأنها تنشر من تـــــخت

فنحن في بحر بـ لا لجّة تجري بنا الريح على السمت

نفرح بالشمس اذا ما بدت فـــرحة الذمي بالـــسبت

وفي المنطقتين معا تعد الأمطار غير منتظمة فقد تتوالى أياما وتغيب شهرا أو أكثر، كما قد تنحبس عاما كاملا [3]

---

1. محمد الهادي لعروق ،المرجع السابق ص17.
2. البكري ،المصدر السابق ،ص67.
3. عز الدين احمد موسى ،المرجع السابق ،ص55.

ج- المناخ الصحراوي:

يسود هذا المناخ أكبر مساحة وهو يبدأ من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي بالمغرب الأوسط، وهو يتميز بارتفاع درجات الحرارة في الصيف وانخفاضها في الشتاء خاصة في الفترة الليلية وهذا راجع إلى قلة الرطوبة، و درجة الحرارة تزيد عن 35 درجة وارتفاع درجة التبخر. وفي هذا الإقليم كمية الأمطار يقل متوسطها السنوي عن 100 ملم [1]في معظم أجزاء الصحراء وقد يصل إلى 200 ملم حول الواحات .[2]

ويتميز بشدة التذبذب، والفجائية ،والأيام الممطرة لا تزيد عن 25 يوم في المتوسط في السنة ،مع قلة الفعالية بسبب التبخر ،وقد تمضي سنوات عديدة على مناطقها دون تساقط ،وإذا سقطت الأمطار فجأة تتحول إلى سيول جارفة تفيض بها الوديان وتحدث أضرار جمة على المحاصيل الزراعية خاصة حول الواحات[3]، وينعدم بها الجليد والثلج وهذا راجع لانخفاض الإقليم وبعده عن الخطوط المطرية، ولا تصله الكتل الهوائية الباردة لكنه يتأثر بالرياح القارية الجافة. [4]

---

1. مسعود الخوند ،**الموسوعة التاريخية الجغرافية** ،ج2 ماي 1994 ،ص 157
2. محمد الهادي لعروق ،المرجع السابق ،ص13
3. مسعود الخوند ، المرجع السابق ،ص158
4. مسعود الخوند ، نفسه.

3- الأودية :

تتميز أودية المغرب الأوسط بقصرها ،لأن أغلبها مرتبطة بالمنطقة المطيرة بين مرتفعات الأطلس التلي والساحل البحري ،فهي سرعان ما تغوص في الأحواض الداخلية المغلقة أو تعود مياهها إلى البحر. وأغلب هذه الأودية تجري في فصل المطر وتجف في الصيف . [1]

فهي قصيرة غير دائمة الجريان ،ومياهها قليلة ذكر المؤرخون بعضها مثل النهر الذي يعبر سهل متيجة قال عنه البكري " يقال لها متيجة وهي مدينة – بين المدية وجزائر بني مزغناى- على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ولها مزارع ومسارح ...وفيها عيون سايحة وطواحين ماء"[2] ،وبيطام قرب طبنة يقول عنه البكري أنه إذا حمل سقى جميع فحوصها وبساتينها[3] ونهري ريغ ببسكرة و القصب بالمسيلة ،وغيرها [4] ويظهر من كتابات المؤرخين معاناة بعض المدن من نقص الماء في فصل الجفاف ،مثل الجزائر التي كان سكانها يعمدون إلى جلب الماء الصالح للشرب من بعض العيون القريبة على ظهور الدواب [5] ومنها ما هو دائم الجريان مثل تلك التي تستمد مياهها من العيون أو من الثلوج الذائبة .

---

1. المراكشي عبد الواحد، ت647هـ ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تحقيق سعيد العريان ،طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية1963، ص 182،
2. البكري ،المصدر السابق ،ص 65-66.
3. البكري ،نفس المصدر، ص51،(وعن هذا النهر قال البكري أن أهل طبنة يقولون " بيطام بيت الطعام ")
4. عز الدين احمد موسى ،المرجع السابق ص55،
5. كورين شوفالييه ،**الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510_1541م**، ترجمة جمال حمادنة ،د م ج ،وزارة الثقافة الجزائر 2007،ص 25.

مثل نهر ملوية ونهر الصومام الذي ينبع من جبال الأطلس التلي ويصب قرب مدينة بجاية وهو الذي وصفه صاحب الاستبصار عند حديثه عن بجاية :" ولها نهر كبير يقرب منها ميلين أو دونها وعليه كثير من جناتهم وقد صنعت عليه نواعير تسقي من أنهر ..."[1].

وهو الذي سماه عبد الواحد المراكشي بالوادي الكبير وقال عنهما :" ونهر بجاية الذي يسمى الوادي الكبير هو متنزهها وعليه بساتينها وقصورها. ونهر آخر فيما بين تلمسان ورباط تازا يدعى وادي ملوية يصب في البحر الرومي أيضاً."[2]و ملوية ينبع من السفوح الشمالية للأطلس الكبير بالمغرب الأقصى ،ثم يجري باتجاه الشرق ،ويغير اتجاهه شمالا ليصب قرب مدينة مليلة.[3]

ويتميز واد شلف عنها بطوله ،حيث ينبع بالقرب من آفلو، أين يسمى بالوادي الطويل .ويشق طريقه صوب الشمال الشرقي على مسافة 800كلم ،ثم تعترضه جبال زكّار ،فيحوّل إتجاهه من الشرق إلى الغرب ،ملتفا على منطقة ونشريس التي تزيده غزارة بفضل ذوبان ثلوجها .[04] فيفصل بينها وبين جبال الظهرة في الشمال، [5]. ويصب في البحر شرق مدينة مستغانم . وهناك أودية أخرى في الجنوب ، تنبع من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي و تغوص مياهها في الرمال .

---

1. مجهول ، المصدر السابق ،ص20
2. المراكشي عبد الواحد ،المصدر السابق ، ص 181،
3. عبد العباس الغريري وآخرون ، المرجع السابق ،ص 97؛ مقديش ،المرجع السابق ،ص 75(كان نهر ملوية ضمن الحدود الزيانية لفترة طويلة كما جاء في الفصل الأول من هذا البحث)(أنظر الملاحق رقم 5,4,3.)
4. عز الدين احمد موسى ، المرجع السابق، ص 56.
5. حليمي عبد القادر ،المرجع السابق ، ص57.

تتميز بالفجائية وعدم الإنتظام ، [1]. مثل الساورة شمال غرب الصحراء وميزاب غربها .

3- العوامل البشرية :

يعد الجهد البشري أهم العوامل التي ساهمت في النشاط الزراعي على الإطلاق، سواء كان جهدا عضليا، أو فكريا من حيث سبل وحيل استغلال الأرض ،ونحاول هنا أن نجيب على الإشكالية التي تتبادر إلى الذهن ،حول العناصر البشرية التي استوطنت الريف الزياني وحول حياة المزارع ، هذا الذي كان يشكل عنصرا أساسيا في تركيبة المجتمع الزياني على هوامش المدينة ،ونمط عيشه ثم الوسائل التي كان يعتمدها في خدمة الأرض .وما تجدر الإشارة إليه أن حياة الناس في الريف أصعب إحاطة بها من الحياة في المدينة رغم أن الريف هو قوام حياة المدينة ،فسكانها يعيشون على ما تنتجه يد المزراع .

عناصر السكان :

1-البربر:

استوطنت المغرب الأوسط العديد من القبائل البربرية منها : مطغرة ،كومية ،هوارة ،توجين ،مغراوة .[2] ولكن الحكم كان في بني عبد الواد الزناتيين، الذين استوطنوا المغرب الأوسط في بداية القرن السابع الهجري . بعدما كانوا ينزحون إلى سهول وهران وما يليها غربا إلى تلمسان التي صاروا أجنح لها من الصحراء.

---

1. حليمي عبد القادر ،نفس المرجع، ص61.

2. Dhina Amar,op.cit ,p104

وبعدما حصلوا على إقطاعات في هذه البلاد ،إنتقلوا من حياة البداوة و الترحال إلى الاستقرار وفلح الأرض .[1] وهكذا تحول بنو عبد الواد من رعاة إلى مزارعين مستقرين بعد حصولهم على أقطاعات وفيرة بين البطحاء وملوية من الموحدين .[2] وساعدهم على ذلك خصوبة التربة وتدفق المياه في السهول الساحلية والداخلية من هذه المنطقة .

2-العرب :

لم يهنأ بسطاء زناتة من سكان الريف بحياة هادئة، إذ ما لبثوا أن انضافت إليهم القبائل العربية ،تلك القبائل التي كانت سببا في هجرتهم من إقليم الزاب إلى جنوبي المغرب الأوسط ، مستفيدة من حاجة الأمراء الزيانيين إلى سيوفهم ضد الفتن والثورات أحيانا وضد دول الجوار أحيانا أخرى . فقد أغدق يغمراسن الأموال والأراضي ،على شيوخ سويد و انضافت إليهم حشود من بني عامر وبني حمّيان ،فكون منهم قوته العسكرية.[3] واستعملهم ضد أعدائه خاصة المرينين ،فجعل سويد وزغبة وذوي عبيد الله المتاخمين لهم درعا لحماية الإمارة منهم .[4]

فتأصل هؤلاء بالهضاب الواسعة ،وكانت وافرة الأمطار، كثيرة الزرع ،من إقليم سرسو جنوب وهران إلى وسط المغرب الأوسط، إلى هوامش تلمسان .وغلبوا على زناتة في مختلف نواحي الأرض.

---

1. أنظر ما قبل ص 25-26.
2. محمود السيد ،**المرجع السابق**،ص 160.
3. حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص 141؛ ابن الاحمر ،**تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان** ،تحقيق وتقديم وتعليق هاني سلامة ،مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع بورسعيد ،ط1 1421هـ/ 2001م ،ص 39.
4. Amar Dhina ,op .cit ,p105

يقول حسين مؤنس: أن الذين استقروا من زناتة تحولوا إلى حضر وزرّاع تغلب عليهم العرب البدو. [1] ومهما يكن من أمر فإن العرب والبربر تجاوروا ثم اختلطوا وتصاهروا ،وسادت اللغة العربية بينهم.[2] ومن قبائل الدولة الزيانية من العرب كذلك المعقل وريّاح . [3] وقد أدى دخول العرب إلى دفع البربر من المنخفضات الخصبة إلى داخل الجبال والى أعماق الصحاري. [4]وهو ما شكل جهدا إضافيا على المزارعين في سفوح الجبال والنجود شديدة الإنحدار، إذ كانوا يلجأون إلى تسوية التربة على هذه المنحدرات ورصّ الحجارة الصلبة حتى تحضن هذه التربة لمنعها من الانجراف و الإنزلاقات ، وتعرف بالمدرجات الزراعية على المخانق الجبلية والنجود [5] .

3-الأندلسيون :

وهناك عنصر ثالث إنضاف إلى العناصر البشرية التي حلت بالمغرب الأوسط منذ القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي ،وازدادت أكثر خلال القرن الثامن الهجري جرّاء سقوط عدد من الثغور الأندلسية ، وهم: مهاجري الأندلس .أو الموريسك بتعبير المؤلفين الأوربيين،[6] الذين تركوا أثرا هاما على الحياة في مختلف مجالاتها بالمغرب، وخاصة في المجال الزراعي.

---

1. حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص 145.
2. نفس المرجع ،141.
3. Amar Dhina ,OP.CIT,p104
4. علي أحمد هارون، المرجع السابق ، ص 183.
5. دنيز بولم، **الحضارات الإفريقية** ،ترجمة نسيم نصر ،منشورات عويدات ،بيروت ،الطبعة الثانية ،1982م ،ص112.
6. **كورين شوفالييه ،المرجع السابق ،ص17.**

فقد ثبت أن عددا من الأندلسيين استقروا بالمناطق الشمالية الساحلية من المغرب الأوسط ،حيث وفرة المياه وخصوبة الأراضي الزراعية ،لأجل استغلال خبرتهم في الزراعة [1]في منطقة هي أشبه بالأندلس [2] .

حيث كان لهذه الجالية أثرها الفعال في تطوير الزراعة لأن الأندلسيين مغرمون بالبساتين والخضرة التي تغلب على أراضي الأندلس ،وكان حظ مدينة الجزائر منهم وافرا إذ قصدها عدد هائل من المهاجرين الأندلسيين .[3] فاشتغلوا بالزراعة ووقفوا بأنفسهم على رعاية أراضيهم فظهرت وفرة في الإنتاج لخبرتهم في ميدان الزراعة ،وتوسعوا في فحوص الجزائر فشملت ثمانية عشر ألف مزرعة وحوالي ألف بستان ،[4] مما يدل على اتساع الأراضي المزروعة إذا علمنا أن متوسط مساحة المزرعة الواحدة عدة كيلومترات .[5]

ولم تكن مدينة الجزائر إلا نموذجا لوجودهم ودورهم ،فقد أشار البكري إلى تواجد سكان أندلسيين بعين من عيون الماء ببجاية .[6]ما يدل على الوجود المبكر للأندلسيين بالمغرب الأوسط ،وأنه شمل أهم مدنه ، ،مثل عنابة التي غرس بها أحد المهاجرين الأندلسيين يدعى مصطفى قردناش

---

1. محمد زروق، **دراسات في تاريخ المغرب**، دار افريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،المملكة المغربية ،ط1 ، 1991، ص 47و53.
2. عبد المجيد قدور ،**هجرة الأندلسيين الى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين 10–11ه/16–17م** ،مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،إشراف محمد أمين محمود بدوي ،جامعة الاسلامية الأمير عبد القادر ،سنة 1995–1996 ، ص 301.
3. عبد المجيد قدور ، المرجع السابق، ص304.
4. عبد المجيد قدور ،المرجع السابق ،ص306،
5. عبد المجيد قدور ،نفسه.
6. البكري ،المصدر السابق ،ص 82.

،ثلاثين ألفا من أشجار الزيتون .[1]

وكان حض تلمسان كذلك منهم وافرا [2]. فقد جاؤوا وهم يحملون معهم مهاراتهم وخبراتهم في الميدان الزراعي مما ساعد على تطور الزراعة ،وإدخال أساليب جديدة في هذا المجال ،كتوصيل المياه عبر الأنابيب والسواقي ،وبناء الجسور من أجل ذلك وكذلك استعمال الأسمدة واختيار البذور والأصول الزراعية الجيدة .ولهم يرجع الفضل في إدخال بعض المزروعات إلى البلاد المغرب والمغرب الأوسط بشكل خاص مثل البرتقال [3]

4- العبيد :

هناك فئة أخرى قامت بدور هام في النشاط الزراعي وهي فئة العبيد وهم من أدنى الطبقات الإجتماعية، يسمون بالعبيد والرقيق كما كان يطلق عليهم اسم الغلمان [4] ومنهم المسلمون ومنهم النصارى.

قام العبيد بدور هام في المجتمع الزياني ،فقد كانت الدولة الزيانية تشرف على تجارة العبيد ، لموقعها الاستراتيجي بين الدول الأوربية شمالا والسودان– الذي يمثل المورد الرئيسي للرقيق– جنوبا .[5]

---

1. سعيد دحماني،**من هيبون –بونة الى عنابة ،تاريخ تأسيس قطب حضري** ،سلسلة الثقافة والسياحة والرياضة ،درا الهدى ،عين مليلة الجزائر ،جوان 2002، ص 18.
2. عبد العزيز فيلالي ،**تلمسان في العهد الزياني ،دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية** ،مقال بمجلة الدراسات التاريخية وجامعة الجزائر معهد التاريخ ،العدد العاشر سنة 1997م،ص374.
3. عبد المجيد قدور ،المرجع السابق ،ص 308.
4. المازوني، المصدر السابق ،ص 378.
5. الونشريسي ،المصدر السابق ،ج5،ص146-147.

وبلغ سعر العبد من 40الى 500 درهم .[1]وهذه الأسعار ليست ثابتة فقد ترخص عقب الغزوات والمعارك التي يسبى فيها الكثير ،خاصة من النساء والأطفال.[2]

وكان العبيد يحضون بمعاملة إنسانية ،إذ يعتبرون جزءا من العائلة بإمكانهم الوصول الى مستوى علمي راق ،فقد دعا محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض مماليكه لمناظرة فقهاء فاس حول مسألة اليهود. [3]

وإلى جانب خدمتهم في الجيش والصناعة والتجارة ،كانوا يعملون في الزراعة لاسيما السود منهم.[4] فقد جرت العادة أن بعض الملاك الكبار المستقرين في المدن يعتمدون على عبيدهم ،[5] لاستغلال ضيعاتهم في الريف .فيحرثونها ويغرسونها ويروون المحاصيل ويجنونها.[6]

ومن بين سكان تلمسان كذلك هناك الكثير من اليهود والمسيحيين ، الذين كان غالب عملهم في التجارة [7] والجيش حيث جند منهم يغمراسن ألفين لخدمته في الحرب ضد المرينيين . [8]

---

1. شعوة علي ، **الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط من خلال نوازل المازوني** ،مذكرة ماجستير ،اشراف مختار حساني ،جامعة الجزائر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ،سنة 2008-2009، ص 64.
2. عز الدين احمد موسى ،المرجع السابق ،ص116.
3. ابراهيم زروق ،المرجع السابق ،ص7.
4. عز الدين موسى .المرجع السابق ،ص118.
5. مختار حساني ،المرجع السابق ، ج2ص17
6. بشاري لطيفة بن عميرة ،**الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين** ،ق 1-4هـ/7-10م ،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط ،إشراف أدة بوبة مجاني ،السنة الجامعية ،2007-2008م، ص357.
7. كورين شوفالييه ،المرجع السابق ،ص18.
8. Kaddache Mahfoud,op.cit,p147

أما أشهر غذاء المزارع فهو الحليب ،وزيت الزيتون ،والسمن الذي يسقون به مغلياتهم من مختلف الحبوب ،كما اشتهر طعام الهريس في الأعياد والمناسبات وهو عبارة عن طعام يطبخ من القمح واللحم [1]. بيوتهم مبنية على شكل مربع من الطين والحجر سقفها موطّأ بقصاع مطلية بالشّيد وهي الأخشاب التي تحتضن السقف ،وعموم سكنهم مبنية بالطوب والحجارة ،وسقفها من القش . [2]

1. دنيز بولم ،المرجع السابق ،ص185

2. دنيز بولم ،نفسه ، الحسن الوزان ،المصدر السابق ، ج2،ص 12، عبد الحميد القادري ،المرجع السابق ،ص21.

3_ ملكية الأرض :

من خلال ما توفر لنا من مصادر حول هذا الموضوع نلاحظ أنه:عُمِلَ بنظام الإقطاع في المغرب الإسلامي عامة ،كما في المغرب الأوسط قبل قيام الدولة الزيانية . والمقصود بالإقطاع أو القطائع ومفردها قطيعة : منح أو إعطاء الحاكم قطعة من الأرض لرجل يتصرف فيها بإحيائها وزرعها . وهو يختلف عن النظام الإقطاعي الذي عاصره في أوربا من حيث أن الإقطاع في الدولة الإسلامية يُمنح للشخص لقاء خدمة ما ،أي عوض راتب شهري أو سنوي .ويتفتت الإقطاع بالوراثة ،بينما في أوربا هو نظام اجتماعي واقتصادي وفكري ،كل شيء فيه ملكا لصاحبه يتصرف فيه كيف شاء . [1] .

ويبدوا أن هذا النظام حمل عند الفقهاء وعلماء الشريعة مفهوم استثمار شخص أو جماعة للأراضي التي يُخَوَلُ الإمام توكيلهم عليها ،إما لأخذ بعض خراجها وإما لإحيائها واستغلالها، مع شروط وحدود ترجع كلها إلى المحافظة على حقوق الجماعة التي كانت تعتبر في الغالب بمثابة المالك الأصلي لمثل هذه الأراضي .[2]

---

1. اسماعيل سامعي ،**معالم الحضارة العربية الاسلامية** ،د م ج ،بن عكنون الجزائر 2007،ص269.
2. عبد المجيد مزيان ،**النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الاسلامي والواقع المجتمعي** ،دراسة فلسفية واجتماعية ،منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار ،الرويبة الجزائر ،2001م ، ص 153،(أنظر كذلك Messli Mohamed Elyes,**les originnes de la crise agricole en Algerie** ,du contonnment de 1846 a la nationalisation de 1962 ,edetion dahlab ,rue de tripoli_h .dey alger,1995,p32)

يشير صاحب الأنيس المطرب[1] أن عبد المؤمن الموحدي هو أول من نظّم الإقطاع في المغرب لما ملك إفريقية كلها . وذكر أن" عبد المؤمن أَمَرَ بتكسير بلاد إفريقية والمغرب ،وكسرها من برقة إلى بلاد النول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا ،فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والسباخ والطرق و الأنهار ،وما بقي قسط عليه الخراج ، و ألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق " [2].

ثم تدرجت الدولة الزيانية نحو الملك والسلطان من ذات النظام –الإقطاعي – ، الذي استفادت منه كقبيلة موالية للموحدين ،حيث أَقْطَعَ الموحدون قبيلة بني عبد الواد : المغرب الأوسط من ملوية إلى البطحاء ،كما أقطعوا بني توجين وبني راشد البلاد الواقعة شرقها . [3] أما في العهد الزياني فكانت جل الأراضي الزراعية والرعوية بالهضاب العليا و بالسهول الوسطى والساحلية في المنطقة الواقعة تحت نفوذ الدولة الزيانية ،عبارة عن إقطاعات للقبائل ،والعشائر الأمازيغية ، والعربية .[4]

ويبدو أن المفهوم الشرعي للإقطاع أصبح مجرد مفهوم نظري، حيث أصبح رجال الدولة قليلا ما يفرقون بين أراضي الخراج ،وأراضي الصلح ،وأراضي الإقطاعيات القديمة .إذا ما أرادوا الإستيلاء على الضياع التي تثير أطماعهم.[5]

---

1. ابن ابي زرع ،المصدر السابق ، ص198.
2. ابن ابي زرع ،نفسه.
3. ابن خلدون عبد الرحمان ،المصدر السابق ج7/،ص77 ،الدراجي 209.
4. بوزيان الدراجي ، المرجع السابق ، ص 208.
5. عبد المجيد مزيان ،نفس المرجع ،ص.154.

حيث وجد مؤسس الدولة الزيانية – يغمراسن– في نظام الإقطاع وسيلة لتقريب القبائل العربية إلى تلمسان لتكون عونا لجيشه. مثل منحه لمشايخ قبيلة سويد إقطاعات الأرض بلاد البطحاء وسيرات وهوارة .[01] وأغدق عليهم الأموال ،فاستقروا في الأرض و انضافت إليهم صفوف من عامر وبني حميان .ومن هؤلاء العرب تكوّن مخزن بني زيان وقوتها العسكرية بالإضافة الى مقاتلي بني زيان من بربر زناتة. [02]

كما يذكر صاحب البغية[03] أن أبا حمو الثاني ، لم يجد بدّا من قبول خدمة قبيلة سويد ومنحها الامتيازات ،و الإقطاعات التي كانت لبني عامر – الذين خرجوا عن طاعته وقاموا ضده .وذلك بسبب العلاقة الطيبة التي نشأت بين ابنه أبي تاشفين ،وبين قبيلة سويد وخاصة شيخها ونزمار بن عريف السويدي. فأصبحت البلاد في عهده كلها إقطاعات للقبائل ، والأشخاص، سواء كانوا من الأسرة الحاكمة أو من أنصارها ،وذلك على حساب ملاكها الأصليين .[04]

---

1. ابن خلدون عبد الرحمان ،المصدر السابق ج 6/،ص45 ،بوزيان الدراجي ،نفس المرجع 209.حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص141.
2. حسين مؤنس ،نفسه.
3. ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ص 40.
4. المازوني .المصدر السابق .ص20.

و بعد مقتل السلطان أبي حمو موسى الثاني، ضعفت الدولة الزيانية واستغلت القبائل العربية، ذلك لتحصل قبيلة عبيد الله على إقطاعات واسعة بنواحي بني يزناسن ،وندرومة ،و وجدة ، ومديونة "وتملكوا البلاد إقطاعات وسهاما " .[01]

إنقلبت القبائل العربية التي استعان بها السلاطين الزيانيون لدحر أعدائهم –وخاصة بني مرين –،إلى خطر على السلطة المركزية في تلمسان ،إذ انتشرت القبائل الهلالية في أرجاء التل واستقلت بأمرها [02]. وأصبح سلطان بني عبد الواد أواخر القرن الرابع عشر ميلادي / الثامن هجري ،لا يصل إلى الأماكن القاصية عن مركز الدولة، ولا يتعدى حدود الأراضي الواقعة على البحر، والتي ملكوها في أول أمرهم .فلقد ضعف نفوذهم أمام سطوة العرب ،وكانوا ساهموا في تقوية هذا العنصر بمنحه الأموال الطائلة وإقطاعه الجهات الواسعة وتسليمه موارد عدد كبير من المدن . [03]

كما استفاد من هذا الإقطاع رؤساء الطوائف الصوفية بسبب نفوذهم الروحي ،وفقهاء تلمسان. وأبناء السلاطين وأحفادهم [4]

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ،ج 7،ص 43.
2. شارل اندري جوليان ،المرجع السابق ،ص207.
3. نفسه ،أنظر الملحق رقم 8،جدول رقم 3،أهم القبائل العربية التي أقطعت الأراضي من طرف السلاطين الزيانيين .
4. المازوني ، المصدر السابق، ص 92.

وكان الإقطاع ثلاثة أنواع :

1- الأرض القانونية :أو أرض التمليك

وهي الأرض التي أَقطعها ولاة الأمر لأحد ما ، هذه الأرض يجوز توارثها و بيعها. فقد أورد الونشريسي لأحد فقهاء الدولة الزيانية [1] ،فتواه بجواز بيع أرض القانون وتوريثها ،[2] ومثال ذلك إقطاع التنسي ،الذي قدم إلى تلمسان في آخر أيام يغمراسن فمنحه هذا الأخير أرضا للإنتفاع بها بعد قدومه من تنس ،ثم بعد وفاته إنتقلت إلى أبنائه من بعده [3]. وإقطاع أبي حمو موسى الثاني دخل مدينة وهران والجزائر لابنه الأمير أبي تاشفين [4] و هي ملكية مطلقة أو إقطاع تمليك .

---

1. هو (محمد بن احمد بن مرزوق- ت846هـ - الملقب بالحفيد – من أسرة المرازقة فقهاء الدولة الزيانية -)
2. الونشريسي ،(أبو العباس احمد بن يحي)،ت 914هـ،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و والأندلس والمغرب** ،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ،الرباط ودرا الغرب الإسلامي ،بيروت ،1401هـ/1981م ،ج6،ص133، وج9ص173.
3. ربما يتبادر الى الذهن أن التنسي المقصود هنا هو(محمد بن عبد الله) ،مؤلف نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،والحقيقة أن هذا الأخير لم يعاصر يغمراسن ،فقد عاش في أواخر الدولة الزيانية وتوفي في 899هـ/1494م ،أي في عهد السلطان الزياني محمد الثالث المتوكل الذي حكم في 866-873هـ/ 1462-1468م ،وقد أشار التنسي أن هذا المؤلَف كان جزاء ماغمره به هذا السلطان من الأفضال ،التي لم يذكرها ،وربما كان من بينها اقطاعه أرضا ،فقد دأب على ذلك من سبقه من السلاطين . وإنما الذي عاصر يغمراسن واستفاد من الاقطاع المذكور، هو ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي ،الذي استقر بتلمسان في النصف الأول من القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري /13و14م، وقد انتهت اليه رئاسة التدريس والفنون في أقطار المغرب كلها فأكرمه يغمراسن بهذا الاقطاع رغبة في تقريبه منه،(أنظر : التنسي ،المصدر السابق ،ص 9و 35؛ حساني مختار ،المرجع السابق ،ص 21؛ الملحق رقم 1.)
4. عبد الرحمن ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج7، ص140، بوزيان الدراجي ،المرجع السابق ،ص 211.

ويظهر أن قادة الدولة الزيانية قد ورثوا هذا النظام عن سابقيهم من المرابطين والموحدين ،فقد اتبع المرابطون سياسة إقطاع قبائلهم ما يفتحون من أرض في البلاد المغربية ،وكان فقهاء المرابطين وجندهم هم أول مستفيد من هذه السياسة .[1]كما أقطع الموحدون في بداية عهدهم الأراضي التي زحفت عليها جيوشهم لقبائلهم إقطاع تمليك[2].

2– أرض الظهير:

عكس الأرض القانونية أي هي تلك التي تقطع لقبيلة أو فرد على سبيل الإنتفاع، لا على سبيل التملّيك . والظهير هو الوثيقة التي يمنحها السلطان للمستفيد .[3] ذكر الونشريسي أنه وجدت أرض بالمغرب أقطعت للأعراب وغيرهم من الناس "إقطاع انتفاع لا ملك ..."[4]

ونقل فتوى عمن أقطعت له أرض ثم مات وخلفه ورثته، فجرد ظهيرها بعضهم من إمام آخر ،بأن الإقطاع الثاني ناسخ للأول .[5]ومعنى ذلك أن الذي يحصل على إقطاع ظهير ليس له أن يملكه ولا أن يورّثه لأبنائه ،وإنما تقطع لغيره .ونقل المازوني نازلة لمحمد بن مرزوق الحافظ أن "أرض العنوة التي يقطعها الإمام لا تورث وإنما هي متاع لمن صرفها عليه متولي النظر فيه وإن مات أقطعها لمن رأى من ورثة الأول وغيرهم .[6]

كما أورد المازوني مسألة عن أرض الظهير أن: " الأرض التي يعطي الإمام الجند من عرب وغيرهم إنما لا عطاء فيها امتناع ينقطع بنقل الإمام ذلك عنه إلى غيره .[7]

1. عز الدين أحمد موسى ،المرجع السابق ،ص142.
2. عز الدين أحمد موسى ،نفس المرجع ،ص143.
3. المازوني ،المصدر السابق ،ص98.
4. الونشريسي ، المصدر السابق ،ج 9،ص73.
5. الونشريسي ، نفسه.
6. المازوني ،نفس المصدر ،ص93.
7. المازوني ،نفسه.

يريد بذلك أن عقد الظهير ينقطع بموت صاحبه أو إذا نقله الإمام عنه إلى غيره ، ويظهر من فحوى المصادر التي تطرقت لهذا الموضوع أن إقطاع القبائل والأعراب [1]،والأفراد البعيدين عن بطن الأسر الحاكمة ،سرعان ما كان يذهب ما في أيديهم من الأرض.

وخاصة في حال الفتن والثورات .[2] وهو الذي حدث في عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني كما تقدم . وربما نزعت من أيديهم لاحقا .[3] جاء في نازلة للمازوني أن الحافظ ابن مرزوق سئل عن أرض معروفة لأناس ملّكها الإمام لرجل من شيوخ القبائل.[4]

وربما الذي شجع ولاة الأمر على مصادرة هذه الأرض هو عدم وقوف الفقهاء على رأي في وضعية أرض المغرب القانونية هل هي أرض عنوة أم صلح: حيث أجاب صاحب المدونة و قاضي إفريقية الفقيه المالكي الشهير سحنون —ت240هـ-"أني لم أقف منها على حقيقة" [5] ، ورأى البعض منهم أنه إذا خفي أمر الأرض أهي صلح أم عنوة أم أسلم عليها أهلها فهي " لمن وجدت بيده وإن كان لا يدري بأي وجه صارت إليه". [6] والمعروف أن البلد إذا استسلم عليه مالكه من غير قتال ،وفي يده الأرض ،ففيه العشر ،وأن من أسلم على شيء فهو له ،ويؤخذ منه خراج الأرض[7]

---

1. المقصود بالأعراب هنا القبائل العربية التي بعث بها المستنصر حاكم مصر الى القيروان منتصف القرن الخامس هـ /الحادي عشر م (أنظر : Saad G. actes du congres D'histoire et de la civilisation du Maghreb ,**le monde rurale Maghrebin** ,opu,Alger 1983, tom1,p83)
2. عز الدين احمد موسى ،المرجع السابق ،ص130.
3. المازوني ،المصدر السابق ،ص 94-95.
4. المازوني ،نفس المصدر ،ص 100.
5. الونشريسي ، المصدرا لسابق ،ج6ص،133و134
6. نفسه.
7. أحمد الطاهري ،**امارة بني صالح في بلاد نكور** ،دار النجاح ،الدار البيضاء ،1998 ،ص107 .

وأن أرض العنوة منها ما عومل معاملة الغنيمة فخُمِّست وقُسِّمت، ومنها ما اعتبر فيئا فخُمِّس ولم يقسم ومنها ما يوْقف على المسلمين عامة .[1]

3 – الأرض الموظفة :

وسميت أرض الجزاء وهي الأرض التي ضرب عليها وظيف أي ضريبة للدولة ،وقد ذكر الونشريسي في الأرض الموظفة أنها :"لا يجب على المبتاع إلا من يوم الشراء خاصة فما بعده لا قبل ذلك ".[2] ويستنتج من ذلك أن هذه الأرض اذا بيعت فإن المبتاع لا يبدأ التسديد إلا من اليوم الذي ابتاع فيه الأرض ،أما ما قبل ذلك فيقع على البائع الذي انتفع قبله بها .

بالإضافة إلى أنواع أخرى من الملكية :

أرض الموات :

وهي الأرض البور وسميت : المعطول والشمرة [3]،التي يجوز للحاكم أن يقطعها لمن يحييها ويزرعها [4]. فهي الأرض التي لم يعرف لها مالك من قبل ،أو لها سكان في آباد الدهر فانقرضوا فلم يبق منهم أنيس، فصار حكمها للإمام .ويعرف هذا النوع من الموات بعادي الأرض .[5]

---

1. أحمد الطاهري ،المرجع السابق ،ص104،يحي ابو المعاطي محمد عباسي ،**الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس** (**238–488هـ/856–1095م**) ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ،جامعة القاهرة ،كلية دار العلوم ،قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية ،القاهرة ،1421هـ/2000م ،ص10.
2. الونشريسي ،المصدر السابق ،ج 6،ص102.
3. أنظر المازوني ،المرجع السابق ،ص 94–95
4. Messli Mohamed Elyes,op,cit,p32
5. أحمد الطاهري ،المرجع السابق ،ص107 .

واختلف الفقهاء في إحياء الموات قرب العمران بين الجواز والمنع ،فذكر الونشريسي نازلة لرجل أحيا أرضا قرب العباد بتلمسان قبيل الحصار الأول: فذكر أربع أقوال بين الجواز بغير إذن الإمام والمنع إلا بإذنه وضرورة إزالة الإمام له دون تعويضه و إزالته مع تعويضه .[1]

أما الموات النائي عن العمران فهو لمن سبق إليه. وحملت إلينا كتب النوازل الكثير من الخصومات حول هذه الأرض [2] .ورغم أن الدولة الزيانية ومن سبقها شجعت إحياء أرض الموات وفلحها. [3] إلا أنها تبقى مخاطرة حقيقية تعرض صاحبها لإمكانية أن يخسر هذه الأرض في أي وقت ؛ما جعل أبو محمد عبد الله بن مالك الطغنري ،صاحب كتاب زهر البستان يقول :"وانما نبهناك على أن هذه الأرضين ،لأن بعض الناس لا يعلمون ذلك غالبا ،فيتعبون ثم يقوم عليهم الإمام فيأخذ ما بأيديهم ولا يظفرون بطائل "[4]خاصة وأن الذين يلجأون إلى إحياء موات الأرض النائية هم من الفقراء .

ورغم أن البعض[5] فرق بين الموات و الأرض المشاعة إلا أننا لم نجد لهذا الفرق أساس من حيث تعريف الأرض المشاعة، وهي التي ليست ملكا لأحد ،ويمكن لمن سبق إليها أن يتولى استغلالها .

وهي الفيافي والقفار والمسارح غير المعمورة أو المملوكة وتمثل أغلب أراضي المغرب الأوسط [6].

---

1. الونشريسي ،المصدر السابق ،ج 5،ص116-117.
2. على سبيل المثال أنظر المازوني ،المرجع السابق ،ص102-106
3. غرداوي نور الدين ،**جوانب من الحياه الاقتصادية والفكرية بالمغرب الاسلامي في القرنين 8و9هـ /14و15م من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، تحت إشراف أد عبد العزيز لعرج ،السنة الجامعية 2005- 2006 جامعة الجزائر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ، ص103 .
4. عز الدين احمد موسى ،المرجع السابق ،ص146.نقلا عن الطغنري .
5. جودت عبد الكريم،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هجريين /9-10م،د م ج ،الجزائر 1992،ص 18.
6. جودت عبد الكريم ،نفس المرجع ، ص 18.

- أرض الحبوس :

وسميت الوقف أو الأحباس، من الحبس وهو الوقف أو المنع أو الوقف [1] ،ويقع على شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يباع ولا يوهب ولا يورث ويصرف في جهات الحبس بمقتضى شروط الحابس ،والمسلم لا رجوع له في حبسه ولا سبيل له إلى فسخه ونقضه إذا وثّق الحبس وأشهد عليه أمام القاضي. [2]

شملت الأحباس في بلاد المغرب الملكيات الخاصة (الأفراد)، وملكيات الدولة (المخزن). [3]

حيث يعد انتشار الزوايا في العهد الزياني وما قبله وتوسع حركة التصوف سببا رئيسا في تشجيع عملية الحبس كمظهر من مظاهر الزهد والورع .[4]وهي ملكيات خاصة تحبس لفائدة المساجد أو الزوايا والمدارس ، وقد سُئل ابن مرزوق الحفيد عن رجل اكترى أرضا محبسة على مسجد ومنع عنه الكراء [5].وأجاز بعض فقهاء تلمسان اقتسام بعض الأراضي المحبوسة على المدرسة اليعقوبية ، بغرض المغارسة.[6] وهو عكس ما كان سائدا في عرف المرابطين الذين لم يجوزوا الانتفاع بأموال الحبس ولو كان من مال مسجد لإصلاح مسجد آخر وإن كان على وجه السلف.

---

1. Messli Mohamed Elyes,op,cit,p33
2. يحي ابو المعاطي ،المرجع السابق ،ص90-91.
3. عز الدين احمد موسى ،المرجع السابق ،ص155
4. عز الدين احمد موسى ،نفسه.
5. المازوني ،المصدر السابق ،ص 96.
6. حساني مختار ،المرجع السابق ، ج2،ص 16.

وقد أجازوا المزارعة فيها ولم يجيزوا المغارسة لأن أجل الأولى قصير ،وأجل الثانية طويل .[1] ورغم كل ذلك فقد زاد اعتماد المجتمع الزياني على هذا النظام — الحبوس — حتى أصبحت الزاوية الواحدة ، من الزوايا، تملك مقاطعة بكاملها .[2]

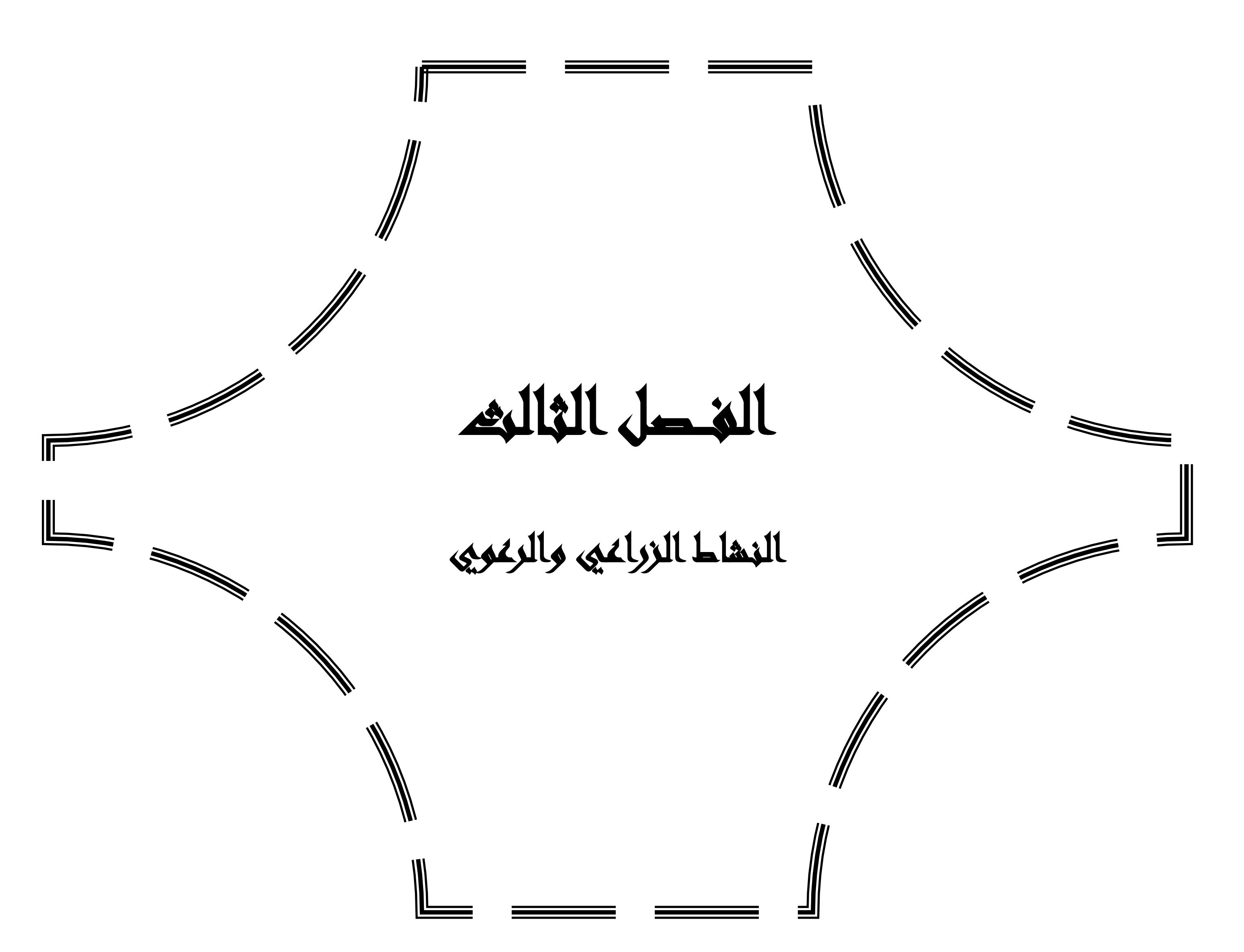
كما استحدثت أنواع أخرى من الأراضي، مثل أرض الحمى و هي ملكية عامة ، تحوي المراعي الواسعة ، في البوادي و تستغل بطريقة جماعية ،من طرف القبائل التي تحترف الرعي ، وتحميها من البدو الرحل .[3] ،والأراضي المستخلصة مثل صالح بن منصور الذي استخلص بلاد نكور لنفسه على أنها من عادي الأرض [4].

---

1. عز الدين احمد موسى ،المرجع السابق ،ص156.
2. أنظر حساني مختار ، المرجع السابق، ص 15،نور الدين غرداوي ،المرجع السابق ،ص100.
3. حساني مختار ،نفس المرجع ،ص15.
4. أحمد الطاهري ،المرجع السابق ،ص 106-107،

لقد استغل المزارع الزياني ما تزخر به بيئته من تربة خصبة ومناخ رطب ،ومياه متدفقة ،في نشاطه الزراعي ،وتأقلم مع هذه البيئة فنجد الأشجار المثمرة والزراعات المروية ،في السهول الشمالية ذات الأمطار الغزيرة ،وزراعة الحبوب ،في السهول الداخلية الأقل رطوبة وخصوبة ،بينما نجد نشاط الرعي يزدهر على هوامش الصحراء وسفوح الجبال .كما استفادت الزراعة في المغرب الأوسط من الثروة البشرية، المتمثلة في مزارعين مهرة ،من بربر و عرب ،استخدموا في فلاحة الأرض من طرف كبار الملاك ، ،ويبدو أن الزراعة أصبحت أكثر تطورا وازدهارا، بحلول الأندلسيين المهجرين قسرا ،من بلادهم عقب الغزو الإسباني لها ،لما أضافوه من تقنيات جديدة في الزراعة والري ،واستفاد النشاط الزراعي من الجهد العضلي لفئة العبيد الذين كان يعتمد عليهم في الحقول بشكل خاص .لما يتمتعون من قوة و فتوة.

تعددت صيغ ملكية أرض المغرب الأوسط وكان الإقطاع هو الغالب على ملكية الأرض ويبدو مما جاء في المصادر أن هذا النظام كان مسايرا للدولة الزيانية في كل فتراتها ،وهو أنواع فمنه ما هو اقطاع تمليك ،ومنه اقطاع انتفاع دون تمليك ، ومنه إقطاع توظيف أي مقابل ضريبة سنوية تعطى لخزينة الدولة . كما ذكرت المصادر أرض الموات والحبوس أو الوقف .



الفصل الثالث

النشاط الزراعي والرعوي

الفصل الثالث :

النشاط الزراعي .

1- علاقة المزارعين بملاك الأرض.

2- أساليب الزراعة والري وطرق حفظ المحصول .

3- الحاصلات الزراعية في المغرب الأوسط .

4- جباية المحاصيل الزراعية.

5- الجوائح،

6- النشاط الرعوي

علاقة المزارعين بملاك الأرض:

كانت أغلب الأراضي تقطع للوزراء ،وللولاة ،وللفقهاء، والكتاب ،ولقادة الجيش ،وللجند ولشيوخ القبائل العربية، وغيرهم من العائلات الوجيهة . و كان هؤلاء يفضلّون حياة المدينة ،ولا يرغبون في العمل بالأرض .[1]ولم يكن يهمهم من هذه الأراضي إلا ريعها ،لاشتغالهم بالغزو ،وأمور السياسة ،وجمع الخراج ،فلجأوا إلى استغلالها بطريقتين : بكرائها لمضاربين عقاريين، أو متقبلين. [2]وهم وسطاء يقومون بدورهم بتأجير الأراضي للمزارعين البسطاء ، مقابل حصة من الإنتاج .أو توظيف مزارعين ،بصيغ مختلفة أصطلح على تسميتها بالعلاقات الإنتاجية [3]،حيث كان الجند "يرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته "[4]، لخدمة الأراضي التي يتملكونها أو يقطعونها في الغزو .

ويظهر أن علاقات الشراكة الإنتاجية هذه لم تكن تخدم فقط كبار الملاك الذين يترفعون عن خدمة الأرض [5] بل خدمت كذلك المزارعين البسطاء ،الذين وجدوا فيها خير ضمان من قسوة الطبيعة المفضي إلى ضياع المنتوج حينا، وجور المتقبلين، أو العاملين على الضرائب أحيانا أخرى ؛حتى وإن كانت هذه الشركات لا تخل من الخلافات المتكررة بين المزارعين وبين كبار ملاك الأراضي .والتي ملأت بطون كتب النوازل .

---

1. إبراهيم القادري بوتشيش : **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، بيروت ،دار الطليعة ،مارس 2002م ،ص77.
2. أنظر ما بعد ،ص 71.
3. إبراهيم القادري بوتشيش، نفس المرجع ،ص 78.
4. إبراهيم القادري بوتشيش، نفسه .
5. أشار ابن خلدون عبد الرحمن في مقدمته الى هذا الترفع .(أنظر :عبد الرحمن بن خلدون ،**مقدمة ابن خلدون**، المصدر السابق ،ص493).

أنواع هذه العلاقات:

إن جوهر الشراكة بين المزارع وصاحب الأرض هو العقد الذي تقوم على أساسه ، والذي يبين مقدار مساهمة كل طرف من الطرفين في عملية الإنتاج. فالأرض أهم ما يقدمه المالك ،والمجهود أهم ما يقدمه المزارع وأما بقية عناصر أو أدوات الإنتاج ،من زريعة وآلات ودواب فيحددها المساهم بها في العقد. وعلى أساس مساهمة كل طرف تحدد حصته في المحصول . [1]

أ- الخماسة :

هي أشهر أنواع الشراكة و أبشعها ضررا بالمزارع ،الذي يكون فيها فقيرا لا يملك أي شيء يقدمه لصاحب الأرض ،إلا جهده .وتبقى عناصر الإنتاج الأربع الأخرى على عاتق مالك الأرض وهي : (الأرض ،والزريعة ،وأدوات الحرث والحصاد ،والدواب) .[2] وبالتالي فلا يبق للمزارع إلا حصة الخمس من المحصول ،ومنها جاء اسم الخمّاس و الخِماسة ،رغم أنه هو الذي يتكفل بالعملية الإنتاجية برُمتها، من الحرث ،والسقي ،و الحصاد ،والدرس وغيرها .كل ذلك مقابل خمس الغلة . ولذلك غالبا ما نجد النوازل حبلى بالشكاوى ،التي ترفع لتحديد مهام الخمّاس ،الذي يعاني من تسلط مالك الأرض .[3] وقد بلغت حالة الخمّاس من التدهور في القرن 15م ما لم تبلغه من قبل، إلى درجة انه أصبح تحت رحمة سيده يقوم بأعمال لا علاقة لها بالعمل الفلاحي مثل الإحتطاب ،والرعي [4].

1. ابراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ،ص 80-81
2. SAAD G.OP.CIT ,p96
3. إبراهيم القادري بوتشيش ، نفسه ص 81.
4. SAAD G, op .cit ,p108

وقد اختلف الفقهاء في وضع الخماس، هل هو أجير أم شريك ؟ والراجح ما ذهب إليه الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي الذي عدّه شريكا ، بناء على رأي مالك بن أنس من "أن الأجير لا يستأجر إلا بشيء مسمى– أي من المال – لا تجوز الإجارة إلا بذلك ،وإنما الإجارة بيع من البيوع ،إنما يشترى منه عمله ولا يصلح ذلك إذا دخله الغرر لأن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، نهى عن بيع الغرر".[1] و إنما هو شريك بالجهد الذي يقدمه ،ويحصل على خمس الإنتاج .

ب– المرابعة أو المثالثة أو المناصفة :

وهي مرتبطة بنفس نمط الخماسة ،وقائمة على العناصر الخمس للإنتاج ،ففي حالة المرابعة يقدم المالك الأرض والبذور والدواب ،ويكون له ثلاث أرباع المحصول وللمزارع الربع، وتطبق نفس القاعدة على المثالثة .أما المناصفة فتتمثل في اشتراك صاحب الأرض مع المزارع في البذور مناصفة ، وتبقى جميع الأعمال على المزارع ،وتكون النتيجة حصول كل منهما على نصف المحصول . فيُعرف المزارعون باسم المناصفين .[2] ويبدو أن هذا النظام كان منتشرا منذ زمن . ففي شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ما نصه "كنا نأخذ الأرض بالثلث والربع بالماذيانات [3] .إلى أن قال رسول الله ،صلى الله عليه وسلم : "من كانت له أرض فليزرعها، فان لم يزرعها

---

1. مالك بن أنس (أبو عبد الله)،**الموطأ** ،خرّج أحاديثه ،أحمد علي سليمان ،الجزء الثاني ،دار الغد الجديد للنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط1، 1429هـ/2008م،ص449 ؛ Saad، G.op .cit , p108.
2. ابراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ،ص 81.حساني مختار ،المرجع السابق ج2،ص22.
3. الماذيانات :بذال معجمة مكسورة ثم ياء مثناة ثم الف ثم نون ثم تاء مثناة وهي مسايل المياه وقيل ماينبت على حافتي مسيل الماء وقيل ماينبت حول السواقي .(أنظر **صحيح مسلم.**شرح محي الدين ابي زكريا يحي بن شرف النووي الشافعي المعروف بالنووي ت 676هـ ،راجعه الشيخ خليل الميس ،،دار القلم بيروت لبنان ،ج9و10 باب كراء الأرض ،كتاب البيوع ،ص456-457.).

فليمنحها أخاه، فان لم يمنحها أخاه فليمسكها ". [1] ورخص مالك في كرائها بالذهب والورق.[2]

وأمام الظلم الذي كثيرا ما كان يتعرض له المزارعون في مثل هذه الشركات، فيُغمَطون حقهم . جاءت الأحكام الشرعية لتنصفهم .ومع ذلك فقد كان بعض ملاك الأراضي رحماء بالمزارعين ،حيث يشير الونشريسي إلى أن هناك من الملاك من يلتزم في عقد الشراكة بنفقة وكسوة المزارع، ويعتني بعياله ومؤونته ،وحتى مشاركته في أضحية العيد .[3]

ج- المساقاة :

مشتقة من سقي الثمرة ،وهي تستغرق الوقت الأطول ،وقال البرزلي أنها :"عقد على مؤونة النبات بِقَدَرٍ لِأمن غلته بلفظ المساقاة أو مرادفه "وعد في شروط صحتها ثمانية : منها : أنها لا تصح إلا في أصل بثمر ،وأن تكون قبل طيب الثمرة مدة معلومة ،وأن تكون بلفظ المساقاة ،[4] وهي أن يستأجر مالك الأرض مزارعا لسقي أملاكه ،ورعايتها ،وتنقيتها، وحراستها ،ودفع السائبة عنها، وجني ثمارها ،عند نضجها [5].و أن يزرع المزارع من ماله الخاص بياض الجنان ،وينقيها ،ويجنيها ، ويدرسها ،ثم يقسم غلتها مع صاحب الأرض .[6]

---

1. النووي ، المصدر السابق ،ص454-455.
2. مالك بن أنس ،المصدر السابق ،ص449.
3. الونشريسي ،المصدر السابق ،ج2، ص36.
4. البرزلي ،المصدر السابق،ج3، ص 380.
5. ابراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق،ص 83.
6. المازوني ،المصدر السابق ،ج3،ص82.

د- المغارسة:

أن يستأجر صاحب الأرض مزارعا ،يتقن غراسة الأشجار لمدة معلومة ،ويتعهد المستأجِر الأشجار بالغراسة ،والسقي، والحراسة ،ويتقاسم الطرفان المحصول مناصفة .[1]

وعادة ما يكون أجلها طويلا ،قد يصل إلى عشر سنين حسب عمر إنتاج الأشجار ،عكس المزارعة التي تعتمد موسما واحدا .[2] و لهذا لم يُجَوِزْ البرزلي المغارسة إلا لأَجَلٍ [3]،ولم يُجَوِزْ إعطاء الأرض المحبسة مغارسة خشية أن تطول المدة ويؤدي ذلك إلى بيع بعضها ،[4] والفرق بينهما أن " ما يُجعل باليد يسمى غرسا وكل ما يبذر بالنثر يسمى زرعا ،وقد يطلق الزرع على الجميع ."[5]

هـ-المزارعة :

تعد الأكثر انتشارا لغلبة زراعة الحبوب على بقية المزروعات ،وهي أن يقوم صاحب الأرض بدفع أرضه مع البذور ،والبقر، لشخص يلتزم بالعمل في الحرث ،والزرع ،على أن يكون له نصيب معلوم من المحصول، يُتفق عليه في العقد .[6]

وقد جاء في القاموس المحيط :" أن المزارَعَةُ هي :المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها ،ويكون البذر من مالكها " [7].

---

1. ابراهيم القادري بوتشيش ، نفس المرجع .
2. كمال ابو مصطفى ،المرجع السابق ،ص65.
3. البرزلي ،نفس المرجع .ج.3،ص377
4. نفس المرجع .ج.3،ص 380
5. غرداوي نور الدين ،المرجع السابق ،ص105
6. كمال ابو مصطفى ،نفس المرجع .
7. الفيروز آبادي مجد الدين، المصدر السابق ، ص 652.

أما إذا كان البذر من العامل فتسمى الشركة "مخابرة " لا مزارعة .والمخابرة مشتقة من الخبر وهو الأكّار أي الفلاّح ،وقيل مشتقة من الخبار وهي الأرض اللينة وقيل من الخثبرة وهي النصيب. [1]

وتكون شركة المزارعة سارية لسنة واحدة مرتبطة بحصاد المحصول. مع امكانية تمديدها إلى سنوات عديدة .[2] أو فسخها إن اخل أحد الشريكين بالعقد ،كفرار المزارع بعد القليب— الحرث– ،أو عدم تقديمه لقسطه من الزريعة، أو عدم إعانة صاحب الأرض للمزارع ،أثناء العمل ،وما إلى ذلك . أما من حيث الشكل ،فهي لا تختلف عن الشركات السابقة في تقاسم المحصول على حسب مساهمة كل من الشريكين في عناصر الإنتاج .[3] وفي الغالب تكون الزريعة بين المتعاقدين، بينما يقع أغلب العمل على المزارع ،إذ يرى البرزلي أنه :" من أعطى لرجلٍ أرضه حين القليب ،فإذا كان أوان الزرع فالبذر عليهما والزرع بينهما والعمل على الداخل والحصاد والدراس ونقل نصيب صاحب الأرض إليه ".[4]

و- القِبالة :

وهناك نظام آخر عرف بالقِبالة وهو : عبارة عن أراضي حازها بعض المضاربين العقاريين عن طريق الكراء ،من كبار المِلّاك ،مدة أربع سنوات ودفع ثمنها على رأس كل سنة ،عُرِف هؤلاء باسم المتقبِلِينَ ،وكان كراء هذه الأراضي يتم بالمزادات العلنية .[5]

---

1. النووي ، المصدر السابق،ص450-451.
2. Saad G. op.cit, p115
3. op.cit,P116
4. البرزلي ،نفس المرجع .ج.3،ص 386
5. ابراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ،ص 82.نقلا عن الجزيري ،المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود .وابن سهل ،نوازل الأحكام في مذاهب الحكام .وهما مخطوطان بالخزانة الملكية بالرباط .

وبعد كرائها يقوم المتقبلين بتأجيرها للفلاحين البسطاء ،فيحققون بذلك الربح الناتج عن الفرق بين المعاملتين ،كراء القِبالة ،وقيمة التأجير للمزارعين .وكانت معاملاتهم محمية بقوة القانون ، حيث لا يطالب بدفع الكراء في حال الآفات الطبيعية من جفاف وغيرها .[1]

وعرفت الدولة الزيانية نظام التويزة ،"وهي الأرض التي يتعاون الفلاحون في حرثها ،وزرعها ،وحصدها بدون مقابل. "[2]

أما السخرة :فهي أن يغصب أحد أرضا ،ويجبر صاحبها على فلحها بوسائله الخاصة ويتمكن من المحصول دون أي جهد منه .[3]

---

1. ابراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ،ص 82.
2. حساني مختار،المرجع السابق ،ج2،ص23.
3. نفس المرجع .

أساليب الزراعة و الري :

اعتمد المزارع الزياني على وسائل بسيطة إذ لم يطرأ عليها أي تطور هام منذ التاريخ القديم ،[1]وهي أدوات زراعية مشتركة في كل حوض البحر المتوسط [2]. ما يدل على أن أساليب وطرق الزراعة كانت متشابهة، ليس فقط في بلاد المغرب ما بعد الموحدين ،ولكن حتى في سهول أوربا على الضفة الشمالية للبحر المتوسط قبل الإنقلاب الصناعي الأوربي.
وأشهر هذه الأدوات محراث السكة من غير مقدم ،والمنجل ،والمنشار ،[3] والمعول لتقليب التربة عند السقي أو لتعرية جذور الكرمة لمداواتها .[4]

طرق الزراعة :

-الحرث :أو القليب ،وهو قلب تراب الأرض للزرع حتى يصبح التراب الذي أثرت فيه الشمس والهواء أسفل الأرض المحفورة، فتتغذى من مكونات عروق المزروعات وأصولها. وعادة ما تبدأ عملية الحرث في تشرين الثاني –نوفمبر – وقد تتكرر العملية في كل عشرة أيام وتصل إلى أربع مرات ،وقد يعوض الحرث بزراعة بعض البقول التي تزيد التربة خصوبة مثل اللوبيا والفول و الجلجلان والترمس ، [5]لإزالة صلابة التربة، حسب نوع الأرض. وكذلك نوع المزروعات، [6]

1. روبير شنيرب ،**تاريخ الحضارات العام** ،اشراف موريس كروزيه ،نقله الى العربية يوسف أسعد داغر وفريد م داغر ،عويدات للنشر والطباعة ،بيروت لبنان ،ط4. 1998،القرن 19 ج 6 ، ص 199.
2. دنيز بولم ،المرجع السابق ،ص185.
3. نفس المرجع ،ص186.
4. الاشبيلي ابن العوام ،المصدر السابق . ج1، ص 156.
5. عز الدين أحمد موسى ،المرجع السابق ،ص189.
6. الاشبيلي ابن العوام ،المصدر السابق ،ج1،ص140.

ويحرص المزارع على الإعتناء بغرسه فيختار للبساتين والجنات "أجود الأراضي وأطيبها بقعة وأعذبها ماء ،ثم تسوى الأرض قبل غراستها ليجري الماء عند سقيها كلها "[1]

والمحراث هو وسيلة الحرث الأساسية حيث استعمله أهل المغرب منذ القديم [2] و يصنع من الخشب يجره زوج دواب من الحمير، والخيل ، وأهمها الأبقار .[3]

وفي المناطق المرتفعة كسفوح أريس فقد كانوا يستعملون النّورج لدرس الحبوب .[4]

ولهذا أشارت النوازل إلى أن نشاط الزراعة لا يمكن أن يستغني عن الدواب وخاصة في عملية الحرث ، التي عادة ما كانت تستأجر لمن لا يملكها ،أو تستعار للحرث، ويكون على المستأجر أو المستعير ضمانها ،فإن ادعى أنها سرقت منه أُلزِم بإحضار البينة من شاهدين .[5] أو تشترى لهذا الغرض، وربما وقعت مشاكل في هذا البيع إذا كان البقر غير مدرب على الحرث. [6]

---

1. نفس المصدر ،ج1،ص153.
2. شارل أندري جوليان ،المرجع السابق ،ص207..
3. موسى هواري ،المرجع السابق ،ص150.
4. دنيز بولم .المرجع السابق ،ص186.
5. الونشريسي ،المصدرالسابق ،ج9،ص108.
6. المصدر السابق ،ج6،ص55.

كانت الأبقار هي الدابة الغالبة في الحرث من بين بقية الدواب في التل [1.]أما سكان الصحراء فكانوا يربطون الى المحراث زوجا من فرس ،أو جمل ،لأنهم لا يملكون البقر. [2]ويذكر الحسن الوزان أن سكان الجبال كانوا يستخدمون بقرا قصير القامة للحرث [3]

– عملية التزبيل: أو التسميد أو السرجين أو السرقين حيث اتخذت أسماء مختلفة في بلاد المغرب ،ويعني ما تسمد به الأرض ، حيث اهتم المزارع في المغرب الأوسط كغيره في بلاد المغرب ، بتزبيل الأرض ليزيد في خصوبتها، وهو ما تبينه الفتاوى التي وردت حول اختلاف الناس على بيع وشراء الزبل لهذا الغرض [4] .مثل هذه القصيدة عن القاضي أبي محمد بن محمد بن عاصم ،تحفة الحكام المشهورة بالعاصمية التي يبين في جزء منها جواز بيع فضلات المواشي للزراعة [5]:

ومع مساقاة ومع قراض وأشهب الجواز عنه ماض

ونجس صفقته محظورة ورخصوا في الزبل للضرورة

أشارت كتب الفلاحة إلى أهم أنواع السرجين –الزبل – "فأفضلها زبل جميع الطيور ما عدا زبل الإوز وطير الماء فإنه أردأها، ،وأجوده زبل الحمام الأزرق لحرارته فهو يقوي الأرض الضعيفة ويعينها على إنبات ثمرها.

---

1. الونشريسي ،نفس المصدر .
2. موسى هواري ،المرجع السابق ،ص150.
3. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص264.
4. الونشريسي ،المصدر السابق ،ج6،ص114.
5. جمال قنان ،**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1830**،طبعة خاصة وزارة المجاهدين ، مصر .ط2 ، 1994 ،ص32 .

ثم بعر الماعز ثم الضأن ثم حثي البقر و أخسّها سرجين – زبل الخيل والبغال "[1]

ودور الزبل هو تقوية التربة حيث يفتح مساماتها وكلما كان قديما نفع لأن الزبل الجديد "يولد الهوام ،وأما الذي مر عليه ثلاث سنين و أربع سنين فجيد لأنه ذهب كل ما به من طراوة "[2] ويستغل زبل الحمام حتى في علاج مرض الأرضة والدود الذي يصيب شجرة التين ،فيبل بالماء ويلصق على جذور الشجر بعد الحفر عليه .[3]

- عملية الزرع والغرس :

وهي عملية متوارثة عن الأقدمين تشمل زرع البذور وغرس الأشجار المثمرة ،وإذا كانت عملية القليب أو الحرث تبدأ مبكرة كما ذكرنا ، فقد جرت العادة في أهل المغرب أن عملية البذر تصادف يناير أو فبراير [4] أما غرس الأشجار فإنه يكون في بداية الربيع [5] ويقول ابن ليون التجيبي " أغرس كل شيء في مارس ثم اسقه بعد الغرس ..." .[6]

يذكر ابن العوام الاشبيلي فنون غرس الأشجار: أن كل منها له طريقته فمنها من يكون نوى أي يغرس بذورا وذكر الجوز واللوز والبلوط والخوخ والإجاص والنخل والصنوبر . ومنها ما يغرس فرع من شجره بدفنه في الأرض ،مثل التفاح والتين والكرم والبندق و الزعرور والأس . ومنها ما يغرس أوتادا أي يدفن جزء من فروعه في الأرض . ،وذكر التوت والأترج والسفرجل والزيتون .[7]

---

1. الاشبيلي ابن العوام ،المصدر السابق ،ج1،ص99.
2. نفس المصدر ،ج1،ص101.
3. نفس المصدر .
4. معمر الهادي محمد القرقوطي ،المرجع السابق ،ص61.
5. ابن العوام الاشبيلي ،المصدر السابق ،ج1،ص156.
6. معمر الهادي محمد القرقوطي ،المرجع السابق ،نقلا عن ابن ليون التجيبي ،ص62.
7. الاشبيلي ،نفس المصدر.

- نظام الري :

لا شك أن استنباط المياه وقودها وفنون تصريفها في الزراعة يشكل جوهر النشاط الزراعي ،خصوصا في المناطق ذات المناخ المتقلب وشبه الجاف ،كحال المناطق الداخلية للمغرب الأوسط .

وقد تفنن المزارعون في أساليب استجلاب الماء من الأنهار وحفر السواقي والقنوات للري وإقامة الطواحين المائية على الجداول والأنهار .[1] ومن خلال النوازل يظهر أن مصدر مياه الري في بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط على الخصوص إنما هو مياه الأمطار التي تغذي الأنهار والعيون والآبار ،التي عادة ما تجمع في صهاريج، [2]ولاسيما في تلمسان عاصمة الدولة، المشهورة بكثرة قنواتها ،التي تستمد مياهها من الوادي ،وتتشعب تلك القنوات ،لتروي المزارع ،والبساتين ،خارج المدينة .[3] حيث تتألف مرتفعات تلمسان من كتلة جبلية من الحجر الجيري ،تعتمد على طبقة من الحجر الرملي المسامي ،تقوم بدورها على طبقة من الصلصال والحصباء. هذا التكوين الجيولوجي صالح لحفظ ماء المطر في أحواض شاسعة في باطن الأرض ،ما يجعل مرتفعات تلمسان خزّانات كبيرة تتوزع منها المياه في أيام الجفاف الطويلة بواسطة ينابيع كثيرة لا تغيض مياهها .[4]

---

1. عثمان الكعاك ،المرجع السابق ،ص243.
2. كمال ابو موسى ،**جوانب من حضارة المغرب الاسلامي** ،من خلال نوازل الونشريسي ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية 1997.ص57.
3. الونشريسي، المصدر السابق ،ج5،ص111 ،335.
4. دائرة المعارف الاسلامية، ج5.ص453.

كان الري بتلمسان منظما تنظيما دقيقا للغاية ،بحيث كان المزارعون يتعاونون فيما بينهم على سقاية الأرض ،من عين ماء مشتركة بين أهلها، يسقون منها بساتينهم ،ومزارعهم .فمنهم من كان يروي أرضه نهارا ومنهم من يرويها ليلا ،وفئة ثالثة كانت تروي من الغداة إلى الزوال ،ورابعة من الزوال إلى العصر ،واستمروا يزاولون هذا الترتيب لفترة تزيد عن الخمسين سنة .[1] وهو ما يعرف بنظام المناوبة في ري أراضيهم ،لتلافي الخصومات حول المياه المشتركة .[2]

تطورت أبحاث علماء الفلاحة عن طرق الإستدلال عن قرب الماء من بعده .[3] وهذا له أهميته خصوصا في المناطق ذات المناخ المتذبذب ،أو شبه الجاف .ويبدو أن أهل نكور — غرب المغرب الأوسط – قد انخرطوا مبكرا في عملية استنباط المياه . والتفنن في أساليب الري حيث أنشأت على نهر نكور[4] من الأرحاء المتحركة بواسطة قوة تدفق المياه في السدود المبنية ،أو في الشليارات ،[5] المفتوحة على السواقي المتفرعة حسبما تقتضيه التقنيات المتداولة آنذاك.

---

1. يبدو أن هذا كان في عصر الونشريسي الذي عاش في تلمسان الى غاية سنة 874هـ/1470م ،(أنظر : الونشريسي .نفسه ج5،ص111 ،335 .)
2. كمال ابو موسى والمرجع السابق ،ص60.
3. أحمد الطاهري ،المرجع السابق ،ص112.
4. البكري، المصدر السابق ،ص 90.
5. الشليار:ساقية تهبط نحو شبر ونصف عن مستوى الساقية الأولى التي تصب فيه وقد تجعل على فمه أرحاء تتحرك بفعل قوة الماء المتدفق على جوانبها .(أحمد الطاهري، نفس المرجع).

وكذلك استنباط المياه الجوفية [1]،حيث تحدث البكري عن رجل من بادس –في بلاد نكور – " يكرمه أهل ذلك الموضع ويقدمونه ويذكرونه[يذكرون] أنه ينبط الماء في المواضع التي لم يعد فيها ماء عيونا وآبارا وأنه يخبر بقرب الماء وبعده وانه يستدل على ذلك باستنشاق هواء ذلك الموضع. [2].

ومنه فإن الأراضي الزراعية بالمغرب ومنها أرض المغرب الأوسط كانت نوعان : أرض بعلية يُعتمد في سقيها على ماء المطر .[3]

والأخرى أرض سقوية ،وهذه أجود أراضي الدولة الزيانية وأدرّها منتوجا مثلما هو حال سهل متيجة و سهل شلف الذي يسقى بمياه نهر شلف في فصل الجفاف [4] يجلب إليها الماء للري من العيون أو الآبار والأنهار باستخدام آلات رفع المياه مثل النواعير أو السواني أو الدواليب [5].أو الخطّارة وهي عجلة تدار بواسطة الدواب . [6]

ويبدو أن هذه الطريقة كانت تستعمل على ضفاف الأنهر وخاصة في البلاد شبه الجافة لجلب مياه النهر وقودها إلى المزارع والبساتين .فقد أشار الحسن الوزان إلى نهر سجلماسة بقوله :" ..من النهر تأخذه الناعورات من واد زيز وتقذف به في قنوات تحمله إلى المدينة "[7]

---

1. أحمد الطاهري ،المرجع السابق ،ص 107.
2. البكري ،المصدر السابق ، ص110.
3. الاشبيلي ،المصدر السابق ،ج1ص 05 ،كمال ابو موسى ،المرجع السابق ،ص62
4. كمال ابو موسى ،المرجع السابق ،ص62.
5. مختار حساني ،المرجع السابق ،ج2،ص26.
6. موسى هواري ،المرجع السابق ،ص154.
7. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص127.

كما عُرف نظام الفُقّارة [1] لاستغلال المياه الجوفية في الأقاليم الجافة بالصحراء، التي تشغل الرمال مساحات كبيرة من أراضيها ،مع قلة المياه الجوفية فيها . مثال ذلك صحراء توات التي استغل مزارعوها كل قطرة من المياه، التي كانوا يستمدونها من الفقاقير .[2] والفقارة تتشكل من مجموعة آبار تبدأ من نقطة مرتفعة، تتجمع بها المياه الجوفية ،وتسير مياه هذه الآبار في مجرى به فوهات لمسافات بعيدة ،حيث تنحدر ببطء عن طريق الإنحدار التدريجي لهذا المجرى ، وينتهي المجرى بحوض كبير تتجمع فيه المياه يسمى (ماجن) ومنه تخرج القنوات التي تحمل المياه إلى بساتين أصحاب الفقارة كل على حسب نصيبه .[3]

---

1. الفقارت: ذات نظام وهندسة خاصة في أراضي الصحراء الغربية من المغرب الأوسط، تستمد الماء من الجيوب الارضية التي تجري في سواقي تحت الأرض على مسافة كليومتر أو اكثر .وتُحفر في كل مائة متر او اقل بقليل شبه آبار ينزل منها الفلاح لتنقية السواقي من الرمال وهذا النظام يحمي الماء من الجفاف لأنه يقيه من الشمس ،(أنظر :عبد المجيد مزيان ،المرجع السابق ،ص154)
2. فرج محمد فرج ،**الزراعة والحرف والصناعات ب اقليم توات في القرن الثامن عشر والتاسع عشر م** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1977، ص 53.
3. (أنظر ،:ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ،ج7،ص119).

- الحصاد والدرس :

أما عملية الحصاد و الدرس فتأتي في موسم نضج المحصول الزراعي، الذي يشير الحسن الوزان بأنه في مايو ، أين يُحصد القمح ،ويُجنى الثمر في أكتوبر، بينما ينضج التين والرمان والسفرجل في أغسطس ،أما العنب فينشف في هذا الشهر .[1]

وتبدأ عملية درس القمح والحنطة والشعير ،وهي عملية تتم بواسطة الدواب التي تدوس السنابل لتستخرج الحب من غلافه بعد حصاده. [2]و البقر أكثر الدواب التي تُستعمل في عملية الدَّرس .[3] ثم تطورت أساليب الزراعة مع استقرار القبائل العربية ووفود الأندلسيين بأعداد كبيرة فتكاثر السكان ونمت المدن وزاد الطلب على المواد الغذائية ، فتضاعف الإنتاج الزراعي ،ودونت فيه الكتب ،وخصص علماء الفلاحة أبوابا وفصولا لفنون الفلاحة وتربية المواشي ،والمسائل المرتبطة بالمناخ ،كما ظهر الإهتمام المشترك بين الطب والفلاحة.[4] وكان من هؤلاء العلماء من يطوف بالبوادي في الأندلس والمغرب وحتى مصر والشام ينتفع من التجارب ويقف على الكثير من أنواع النبات ويعاين المحاصيل .[5]

---

1. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج1،ص 80.
2. ابن خلدون عبد الرحمن ،المقدمة ،مصدر سابق ،ص509.
3. موسى هواري ،المرجع السابق ،ص157.
4. احمد الطاهري ،**الطب والفلاحة في الأندلس بين الحكمة والتجريب** ،مركز الاسكندرية للكتاب1995 .ص95.
5. احمد الطاهري ،نفس المرجع ص100-101.

ويتجلى التطور التقني في مجال البستنة في إنتاج الخضر والفواكه خلال الفصول الجافة بواسطة أشكال من التقطير والتظليل في بلاد نكور إضافة إلى إقامة المدرجات الصخرية على سفوح الجبال لحفظ التربة من الانجراف . [1]

- طحن الحبوب وعصر الزيتون :

لم تكن مرحلة طحن الحبوب وعصر الزيتون في الدولة الزيانية مقتصرة على المزارع ،فقد كانت حرفة مستقلة عن النشاط الزراعي، يسترزق منها البعض ،حيث ذكر المازوني أن هناك من كانت له رحى ماء يطحن بها القمح و يأخذ أجرة في المقابل ممن يطحن له .[2] كما انتشرت معاصر الزيتون في السفوح والسهول المشهورة بهذا المحصول ،وكانت معاصر الزيتون وأرحاء الحبوب ،تُحرك بواسطة المياه الجارية، أو عن طريق الدواب التي تدور بها ،ويُذكر أن أغلب الذين يستخدمون في العمل بها من العبيد ،لأنه يحتاج الى مجهود عضلي مضني .[3]

---

1. أحمد الطاهري ،امارة بني صالح ،مرجع سابق ،ص112.
2. المازوني ،المصدر السابق ،ج.3،ص 39.
3. الكعاك عثمان، المرجع السابق ،ص177.

الحاصلات الزراعية :

يغلب على المغرب الأوسط الطابع الزراعي — في أقصى امتداده — فهو يمتد من البحر شمالا إلى أغوار الصحراء جنوبا مما جعله يتمتع بتنوع التضاريس ،وتنوع المناخ والتربة ،وهو ما يعطي إمكانية إنتاج أغلب أنواع المزروعات[1] أهمها.

الحبوب :

تعد من أول المزروعات التي مارسها الإنسان لاسيما القمح والشعير وقد انتقلت إلى وسط إفريقيا من جنوب غرب آسيا .[2] تزرع في الشريط الساحلي وقد اشتهرت بونة – التي تمثل فيها الزراعة النشاط الأساسي – بالحبوب من قمح وشعير فهي في مقدمة الإنتاج الزراعي بها ،إذ كانت المساحة المزروعة حول بونة في القرنين 7–8هـ/ 13–14م أربعين ميلا طولا وخمسة وعشرين ميلا عرضا وهي تنتج قمحا من النوع الجيد .[3]

كما تعد الحبوب المحصول الرئيسي في بجاية من القمح والشعير والفول والعدس والحمص والذرة. [4] إلا أن زراعتها ترتبط بالسهول الداخلية ،التي تلائم هذه المحاصيل، حيث تحتاج أنواع الحبوب المختلفة إلى درجة حرارة تتراوح ما بين 4 درجات كأدنى حد، و32درجة كأقصى حد ، لتنبت [5] ،وهو المدى الحراري الذي يتوفر بالسهول الداخلية ،وحيث التربة المتماسكة شمال خط المطر المتساوي[6] .

---

1. أحمد توفيق المدني ، **هذه هي الجزائر** ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1956،ص 13.
2. علي أحمد هارون، المرجع السابق، ص33، أنظر الملحق رقم 10–11.
3. سعيد دحماني، المرجع السابق ،ص21.
4. عبد الحليم عويس ،المرجع السابق ،ص222.
5. علي أحمد هارون ،المرجع السابق ، ص90.
6. بن عميرة لطيفة ،الأوضاع الإقتصادية في الدولة الزيانية، مرجع السابق ،ص72.

مثلا حول تلمسان، التي أشار الحسن الوزان ،أن زراعة الحبوب بها تبعد عن المدينة "بنحو ثلاثة أميال شرق المدينة –حيث – ترى عدة أرحية لطحن القمح على نهر يدعى سفسف (سفطسيف)"[1].وخاصة القمح والشعير الذي كان من أجود الأنواع "يخزن في مخازنها مدة ست سنين ثم يزرع وينبت "[2] . وقد انتشرت زراعته حول تلمسان في سهل تاسالا [3] وهو "سهل كبير يمتد على مسافة نحو عشرين ميلا وينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب "[4].

وكثرة الأرحاء على أنهار وجداول تلمسان ،خير دليل على انتشار زراعة القمح ،حيث يتم طحن الحبوب بها وخاصة القمح وتزويد سكان المدينة بالدقيق. [5]
والإنتاج من القمح وفير "فربما انتهت من الزوج[6] الواحد بملاتة [7] منها إلى أربعمائة مد كبير، وهو ستون برشالة[8] ،زنتها ثلاثة عشر رطلا ،من البر ،سوى الشعير و الباقلاء ."[9]

1. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص20.
2. القلقشندي أبي العباس أحمد ،**صبح الأعشى في كتابة الإنشا** ،مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ،1340هـ/1922م ،ج5،ص150.
3. يقع سهل تاسالا أو تسلة بين مدينتي تلمسان ووهران ،أنظر التنسي ،المصدر السابق ،ص 285، والراجح أنه سهل سيدي بلعباس أنظر الحسن الوزان ج2،ص 25.
4. الحسن الوزان ،المصدرالسابق ،ج2،ص25.
5. رشيد بورويبة واخرون ،المرجع السابق ،ج3،ص371.
6. الزوج يعني المساحة التي يحرثها ثوران في يوم واحد.(أنظر :حساني مختار ،المرجع السابق ،ج2، ص 25).
7. ملانة :سهل بين وهران وتلمسان ،(أنظر :التنسي ،نفس المصدر ،ص 285.)
8. البرشالة تساوي اثنتا عشرة أوقية والمد هو مكيال ومقداره رطلان وهو ملء كف الانسان المعتدل ،عن هذه المصطلحات (انظر :مختار حساني ،نفس المرجع ج2،ص25.)
9. يحي بن خلدون ،المصدر السابق ، ص 90.

وذكر في مدينة البطحاء بها سهل فسيح يزرع به القمح بكثرة ،حتى أن أحد الأولياء[1] الذي سكنها كان عشر أراضيه يدر 8000كيل من القمح في السنة .[2]وعموما اشتهرت الدولة الزيانية بزراعة القمح الذي كان يصدر إلى أوربا من وهران إلى مرسيليا ومن هنين إلى المرية [3]، كما كان يصدر من بلاد المغرب إلى سوريا والسودان في نهاية القرن الهجري السادس /12م [4] والشعير الذي كان يزرع في النجود ،إضافة إلى الحمص والفول والعدس والذرة والجلبان وغيرها . كما اشتهر حوض شلف من مليانة وسهول عين الدفلى وسوق الخميس الى مزغران ومستغانم وساحل برشك بالقمح والشعير والحنطة .[5] وفي المناطق الداخلية الشرقية وجد في سهول قسنطينة وقلعة بني حماد وباغاية وطبنة وسطيف كما وجد في الوسط بالجزائر ومتيجة وشرشال. [6]

وذكر الإدريسي أن قسنطينة بها الحنطة تقيم في مطاميرها مائة سنة لا تفسد ،وأنه في كل دار منها مطمورتان وثلاث وأربع منقورة في الحجر ولذلك تبقى بها الحنطة لبرودتها واعتدال هوائها.[7]

واختصت الأراضي المرتفعة ذات التربة الفقيرة والمياه القليلة أقل من 250مم من المطر سنويا ،في السهول الداخلية والمنحدرات السفلى وهوامش الصحراء بزراعة الشعير والذرة [8] مثل جبل متغارة وجبل ولهاصة.[9]

---

1. وهو أحمد بن يوسف الملياني ،عرّفه مارمول : بالشيخ السينا (أنظر الحسن الوزان ،ج2هامش ص29 ،ومختار حساني ،المرجع السابق ج2،ص23.)
2. الحسن الوزان ،نفس المصدر .
3. بشاري لطيفة ،التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية ، من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م) ،رسالة لنيل شهادة الماجستير ،تحت اشراف موسى لقبال ،السنة الجامعية 1986-1987م ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،ص241.
4. عز الدين أحمد موسى ،المرجع السابق ،ص326.
5. مختار حساني ،المرجع السابق ج2،ص27.
6. رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية ،تاريخها وحضارتها ،د م ج ،المركز الوطني للدراسات التاريخية ،الجزائر 1977م،ص 67-68
7. نفسه
8. لطيفة بن عميرة ،الأوضاع الاقتصادية في الدولة الزيانية ،مرجع السابق ،ص73.
9. جبل متغارة هو الذي تقع مدينة ندرومة على احدى سفوحه وجبل ولهاصة يقع جنوب ارشقول (انظر: مختار حساني ،المرجع السابق ج2،ص26.).

لم تقتصر زراعة الحبوب على التل فقد كانت هوامش الصحراء ،تتوفر على مساحات معدة لهذا المحصول ،فكانت سجلماسة تنتج بزريعة موسم واحد ،ثلاث مواسم كاملة ،كما يقول البكري "...ويزرع بأرض سجلماسة عاما ،ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة أعوام لأنه بلد مفرط الحر، شديد القيظ ،فإذا يبس زرعهم، تناثر عند الحصاد ،وأرضهم متشققة ،فيرتفع ما تناثر منه في تلك الشقوق، فاذا كان في العام الثاني حرث بلا بذر ،وكذلك في الثالث ". [1] وذلك لأن البذور المتساقطة من عملية الحصاد تدخل في تشققات الأرض، فتنتج حباً، ويقول عن هذا الناتج انه حباً لا يشبه الحنطة، والشعير ،ويسمى سلتاً ،وهو الشعير الأبيض الذي لا قشر له.

الخـــضر:

بعكس الحبوب فالخضر تتركز زراعتها في هوامش اغلب حواضر المغرب الأوسط الواقعة على ضفاف الأنهار ،حيث تعتمد على الري ومنها الجزر والكرنب الذي تبدأ زراعته من فبراير إلى يونيه القثاء والخيار يزرعان في مارس قرب تلمسان واللفت والباذنجان والقرع وقصب السكر [2] وذكر المازوني البصل الذي يغرس في أحواض [3].ومن مناطقه قرية بني وازلفن بالقرب من مدينة تنس تزرع بذوره من أول نوفمبر إلى يناير ويغرس من أول أبريل حتى أخر مايو. [4]

---

1. البكري ،المصدر السابق ،ص148،بشاري لطيفة ،المرجع السابق .
2. مختار حساني ،المرجع السابق ،ص 31 ، معمر الهادي محمد القرقوطي ،المرجع السابق،ص77.
3. نفسه.
4. معمر الهادي محمد القرقوطي ،المرجع السابق،ص77.

الفواكه :

هي أكثر أنواع الحاصلات الزراعية ذكرا في كتب الرحالة ،ولعل ذلك يرجع إلى أن بساتين الفواكه عادة ما تكون أسوار ها على هوامش المدن والحواضر الكبرى، وهو الشيء الذي يلفت انتباه هؤلاء أكثر من غيره ،وأشهر الأشجار المثمرة التي انتشرت في المغرب الأوسط من بونة شرقا إلى وجدة غربا وأكثرها هي أشجار الزيتون والتين والكروم.[1] ليس على العهد الزياني فقط وانما اشتهر إنتاج المنطقة للكثير من الزيتون والعنب منذ العهد الروماني، حيث سميت بمخزن غلال روما [2] ومن كثرتها نجد الحسن الوزان يذكر عن هنين – على الساحل شمال مدينة تلمسان – أن بها : "مالا يحصى من التين والزيتون ،لكن لايوجد من يقطفها في البساتين الواقعة على ضفة النهر . [3] ،وعن تلمسان قوله "تنتج أعنابا من كل لون طيبة المذاق جدا ...والتين الشديد الحلاوة وهو أسود غليظ طويل جدا يجفف ليؤكل في الشتاء " [4] ،وعن ندرومة قوله "زرعت فيها على الخصوص الكروم وأشجار التين " [5] . ويعود التخصص في هذا النوع من الأشجار إلى ارتباطها بطبيعة مناخ المنطقة وهو مناخ البحر المتوسط .

كما عرفت أراضي المغرب الأوسط كثيرا من أنواع الفواكه، كالخوخ والجوز واللوز والبطيخ والكرز الذي قال عنه الحسن الوزان أنه لم ير مثل كرز تلمسان مثيلا له في غيرها ،والمشمش والتفاح والإجاص ،وأشجار الخروب التي يأكل سكان ندرومة منها بكثرة .[6].والسفرجل والتوت واللّيم ويكثر النخيل بجنوب الدولة الزيانية .[7] وخاصة الشرقي منه فقد اشتهرت التمور في إقليم الزاب :

---

1. محمود السيد ، الرجع السابق ،ص 113.
2. محمود السيد ، نفسه .
3. الحسن الوزان ، المصدرالسابق،ج2،ص 14.
4. الحسن الوزان ،نفس المصدر،ج2،ص 16.
5. نفس المصدر،ج2،ص 13.
6. المصدرالسابق،ج2،ص ص 13-16.
7. عثمان الكعاك ،المرجع السابق ،ص242.

في طولقة وطبنة ونقاوس والمسيلة وبسكرة التي كانت تمورها من أجناس مختلفة منها نوع يسمى بالصيحاني كان في عهد أبو عبد الله الشيعي الفاطمي يمنع بيعه وإرسال ما هنالك منه إليه .[1]وكان التلمسانيون يصدّرون إلى الأوربيين الفواكه مثل التمور ،حيث عُرف المغرب الأوسط ببيع التمور ،وكان ملك أرغونة يفضلها على مائدته .[2]

الزراعات الصناعية : وهي المزروعات التي تخضع لعملية تحويل حتى يستفاد منها في وجه من أوجه الإستهلاك مثل القطن الذي أدخله العرب إلى بلاد المغرب [3]وكثرت زراعته بالمغرب الأوسط لما له من أهمية في صناعة النسيج ، فقد ذكره الحسن الوزان عند الحديث عن سكان ندرومة بقوله "وينتجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه ينبت بكثرة في الناحية "[4].

وفي أرض يقال لها الهبط قرب سجلماسة التي اشتهرت بخصوبة الأرض ووفرة محصول القطن [5]. ويباع في أسواق تلمسان ،ويصنع منه اللباس الخاص بالملوك والقضاة والأغنياء والعمائم وقماش تكفين الموتى وكساء الخيام مما كان يرفع سعره في تلمسان [6] .

---

1. رشيد بورويبة ،المرجع السابق ،ص70.
2. بورويبة واخرون ،المرجع السابق ،ص 483.
3. عثمان الكعاك ،نفس المرجع ،ص 242.
4. الحسن الوزان ، نفس المصدر ،ج2،ص14
5. الونشريسي ، المصدرالسابق ج8،ص146،كمال ابو مصطفى ،المرجع السابق 63.
6. الحسن الوزان ،المرجع السابق ،ج2،ص 14.

فضلا على زراعة قصب السكر الذي يزرع في فبراير أو مارس ،كان يعتصر لصناعة السكر منه[1]والكتان الذي يزرع في شهر نوفمبر في التربة الرطبة لحاجته إلى المياه الغزيرة ،وتصنع منه الملابس والحبال والأشرعة للسفن والخيام [2] الذي كان يزرع بكثرة حول مدينة تاهرت وعلى وادي شلف وناحية برشك وهي مدينة كانت بين الداموس وشرشال حاليا [3]كما زرعت الحنة والكمون في مناطق مختلفة من الأراضي الزيانية منها بني وريفن على نهر شلف تبعد عن تنس بمرحلة .[4]

وزرعت المواد المصبغة التي كانت تنبت غالبا في البراري مثل النيلة هو نبات أصله من الهند ثم انتقل إلى بلاد المغرب مع الفتح الإسلامي ،يستخدم في صباغة القماش ،ويزرع قرب سجلماسة وورد النيل. وهو نبات عشبي يستخدم للصباغة وينمو بكثرة بين وهران وتلمسان [5].

وعموما فقد كان القمح والشعير هو الغالب على كل أنواع المزروعات في أراضي المغرب الأوسط من ملوية إلى وادي يسر وخاصة في الشمال حيث الخصوبة والغيث والأودية الجارية بالمياه.[6]

---

1. عثمان الكعاك ،المرجع السابق ،ص 242. معمر الهادي محمد القرقوطي ،المرجع السابق،ص72.
2. محمد الميلي ،المرجع السابق ،ص 483. معمر الهادي محمد القرقوطي ،المرجع السابق،ص75-74.
3. مختار حساني ،المرجع السابق ج2،ص32.
4. مختار حساني ،المرجع السابق ج2،ص32.
5. ،الحسن الوزان ،نفس المصدر ،ج2،ص 120.
6. بوزيان الدراجي ،المرجع السابق ،ص212،(أنظر :الملحق رقم 12خريطة الزراعة في المغرب الأوسط.)

جباية المحاصيل الزراعية :

في إشارة يحي ابن خلدون إلى رسم سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ،يفهم أن الرسم يكون سنويا بجني المحصول [1].وهو ما يورده ابن أبي زرع أن يغمراسن كان يخرج أحد أولاده إلى سجلماسة كل سنة لضبطها وجباية خراجها .[2]

ورثت الدولة الزيانية نظام الضريبة الموحدي خاصة و الإسلامي عامة .[3] ولهذا فهو شبيه ببقية أنظمة الدول الإسلامية الأخرى ،فقد أبقى الزيانيون على نظام العُشر، أهم الضرائب القانونية الموظفة على جميع أنواع المزروعات وجميع أنواع الأراضي .وتضرب على حسب المحاصيل عند جنيها.[4]وربما كان نصف العشر في بعض الحالات .[5]ويبدو أن هذه الضريبة كانت تتم بصورة عشوائية دون تدقيق في قياس مساحة الأرض و منتجاتها. [6] وفي بعض الأحيان كانت ضريبة الأرض تقاس بعدد رؤوس البقر التي يملكها صاحبها. [7]

---

1. يحي ابن خلدون ،المصدر السابق ، ص90.
2. ابن ابي زرع الفاسي ،**المصدر السابق**،ص 312.
3. بوزيان الدراجي ،المرجع السابق ،ص 219
4. روبار برونشفيك ،المرجع السابق ،ص198.
5. بوزيان الدراجي ،المرجع السابق،ص220.
6. نفس المرجع ،ص221.
7. موسى هواري ،المرجع السابق ،ص151.

و كان الذي يشرف على جمع الجبايات يسمى "صاحب الأشغال " يختاره السلطان من بين كفاة الحساب والنظار ،صاحب ثقة وأمانة وعفة وصيانة .[1] يساعده جُباةٌ وأُمناء وكان مقدما عند السلطان الزياني، إذ أوصى أبو حمو موسى الثاني أن يكون ثالث الداخلين على السلطان [2] ليقدم تقريرا عن المداخيل التي تمت .

وقد كانت تفرض المغارم على بعض القبائل المتمردة كما أسلفنا، والتي سميت بالقبائل الغارمة، فتعاقب بدفع الغرائم المختلفة ،التي غالبا ما تدفع في شكل غلاّت ،تجمع في مخازن الدولة ،[3] مما شكل مصدر ثروة للدولة، تجبى بواسطة قائد العمالة ومن هذه القبائل :مغراوة ،توجين ،مليكش ،وحصين . [4]

ويبدوا أن هذا ما جعل ابن خلدون يستعمل كلمة مغارم للدلالة على الضرائب الموظفة دفعة واحدة على قبيلة من القبائل .[5]

---

1. بوزيان الدراجي ،المرجع السابق،ص166.
2. المرجع السابق،ص164-165.
3. بورويبة واخرون ،المرجع السابق ،ص487
4. بوزيان الدراجي ،المرجع السابق،ص205.
5. روبار برونشفيك ،**تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13الى نهاية ق15م** ،نقله الى العربية حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،ج2،ص11.

كما ذكر الحسن الوزان أن أهل سهل تسالة ،كانوا يؤدون خراجا مرتفعا الى الملك ،دون أن يحدد قيمته[1] . وأن سهل البطحاء كان من الخصوبة بحيث يحقق لتلمسان دخلا يقدر بعشرين الف مثقال. [2] وأن أحد كبار ملاّكها يصل عشر أراضيه ، (أي عشر المحصول)الى ثمانية آلاف كيل في العام .[3]

ولم يكن المزارع في بعض الفحوص التي استقلت عن الدولة الزيانية في آخر عهدها بأكثر حظا حيث كانت القبائل العربية أو الأعراب بتعبير الحسن الوزان يرهقونهم بالضرائب والإتاوات مثلما هو الحال في مازونة والمدية [4]

1. الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ج2ص25.
2. الحسن الوزان ، نفس المصدر ، ج2ص28.
3. الحسن الوزان ، نفسه.
4. نفس المصدر ،ص36.

طرق حفظ المحصول :

لم تكن الدولة الزيانية تنعم بالإستقرار في ظل الغارات التي نالت منها على طول تاريخها أو الحصار المتكرر لمدينة تلمسان .ولذلك أُتخِذت إجراءات عديدة لتخزين المؤن . فحفظت العشر الذي تأخذه على المزروعات وأهمها القمح والشعير وتحفظه داخل مطامير ،مثلما كان يفعل السلطان أبو حمو موسى الأول عندما يحصل على عشر محصول المناطق الشرقية من الدولة وإجبار المدن والقبائل على دفع غرامة من المحاصيل لذنب ارتكبته "وأمر قائده بإغرامهم كل ما غابوا عليه من مخازن السنين السابقة "[1]ويرسله إلى أحد الحصون القريبة من تلمسان حتى سماه عبد الرحمان ابن خلدون : "وبحراً لا يدرك ساحله "[2].

واتخذت الدولة ما يعرف بخازن الزرع الذي كان موكلا إليه القيام على مطامير الزرع ،وذلك نستنتجه من استدعاء السلطان أبو زيان الأول سنة 706هـ/1307م خازن الزرع فسأله :كم بقي من الأهراء[3] والمطامير المختومة [4].

---

1. ابن خلدون يحي ،المصدر السابق ،ص275.
2. ابن خلدون عبد الرحمن،العبر ،مصدر سابق ،ج7وص99.
3. الأهراء :حفر تملأ بالشحوم بعد إذابتها بالملح والفحم والحطب .(أنظر ابن خلدون عبد الرحمن، العبر ، ج7،ص 96).
4. أنظر ابن خلدون عبد الرحمن، نفس المصدر ،ج7،ص 96.

كان خازن الزرع يقوم بمهام أخرى الى جانب حفظ المحصول وهي تحصيل العشر من الأراضي وأخذ الكمية المتفق عليها من الإقطاعات ،وأخذ مغارم المدن والقبائل ،وخزنها في أماكنها المخصصة لوقت الحاجة، وفي حالة رفض الأهالي دفعها يخرج السلطان بنفسه أو أحد أبنائه على رأس فرقة عسكرية لأخذ الضرائب منهم بالقوة [1]. وكذلك عليه التكفل بتوزيع الطعام على السكان أوقات الحصار ،وممن عمل بهذه المهنة ابن جحاف .[2] وقد عادت المواد الزراعية المخزونة داخل المطامير بفائدة إقتصادية واجتماعية على تلمسان وقد وفرت دخلا جيدا للخزينة عند طرحها للبيع بالسواق ،في أوقات المجاعات كما حدث سنة 776هـ/ 1374م فقد طرحت الدولة ما هو موجود بالمخازن ،حيث يقول صاحب البغية :"أمر أيده الله بفتح أهراء الزرع وإباحة بيعه للناس بعد الحط من سعره ".[3]أو مساعدة الفقراء والمساكين ،حيث يقول يحي بن خلدون عن نفس المجاعة :"فتصدق نصره الله بنصف جباية حضرته الكريمة كل يوم على ضعفائها ".[4]

كما مكنت سياسة التخزين هذه تلمسان من مساعدة الدول المجاورة .فقد مكنت تلمسان سكان الأندلس من الصمود أمام المجاعة التي مرت بهم في 763هـ/1361م والثبات أمام النصارى .حيث أرسل السلطان أبا حمو موسى الثاني خمسين ألف قدح من الزرع الى ملك غرناطة[5].

---

1. بوروبية وأخرون ،المرجع السابق ،ص487.
2. ابن خلدون عبد الرحمن،المصدر السابق ،ج7،ص 92.
3. ابن خلدون يحي،المصدر السابق ،ص223.
4. نفس المصدر ،ص227.
5. نفس المصدر ،ص114 ،بن عميرة لطيفة ،المرجع السابق ،ص 73.

لم يكن تخزين المحصول حكرا على الدولة ،فقد كان تخزين المحصول في المطامير حلقة من حلقات العمل التي يقوم بها المزارع كما بينت ذلك النوازل .فقد ذكر الإدريسي أن لكل دار من دور ريف قسنطينة مطمورتان وثلاث وأربع منقورة في الحجر ولذلك تبقى بها الحنطة لمدة مائة سنة لا تفسد لبرودتها واعتدال هوائها . [1] وفي أقصى الغرب ببلاد نكور مازالت خرائب مدينة بادس[2] تعج بعدد هام من المطامر في أكثر من موقع استعملت في خزن الحبوب وادخار الأقوات. [3]

ذكر ابن العوام فنون التخزين التي كانت شائعة بالأندلس والمغرب لمختلف أنواع الحاصلات الزراعية ،فذكر:" التين يجمع بعد تناهي نضجه ويفرش على رقم —فراش — أو ديس يابس وييبس في الشمس [كذا]ويترك إذا يبس ليلة منشورا للندى ويرفع من الغد قبل طلوع الشمس "فيخزن . [4] وأن العنب تلوى عيدان عناقيده حتى تنفسخ ولا تتغذى بشجرتها فلما ينقبض حب العنب فيقطف ويعلق في الظل حتى اذا يبس يخزن في بيت بارد ". [5]

أما الحبوب فقال أن البر إذا رفع في سنبله يبقى مائة سنة ويجعل فيه ورق رمان أو جصّ أو رماد حطب البلوط فإنه يسلم من الآفات . [6]

---

1. رشيد بورويبة ،المرجع السابق ،ص 67-68.
2. بادس :مدينة مبنية على ساحل البحر المتوسط غرب وجدة يسميها الاسبان فليكيس دولاكوميرا .(انظر الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص325.)
3. أحمد الطاهري .المرجع السابق ،ص115.
4. ابن العوام الاشبيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص699.
5. المصدر السابق ،ج1،ص698.
6. المصدر السابق ،ج1،ص679

الجوائح :

كل ما جاء من قبل الله عز وجل فهو جائحة كالجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والغالب والدود ...وقيل :الجيش والسارق جائحة إن لم يعرف [1]

وحكمها أن لا شيء لصاحب الأرض على الزارع الذي اكترى الأرض ليزرعها فأصابتها جائحة فقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" لو بعت من أخيك ثمراً فأصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا بم تأخذ مال أخيك بغير حق "[2]فقحطت السماء فلم يقدر على الحرث وقد أُمْكِنَ من الأرض أو غرقت فلم يقدر أن يزرع ،أو بئر أو عين فانهارت قبل تمام الزرع فهلك الزرع بذلك ،أو انتقع الماء الذي يحي به الزرع من بئر أوعين حتى هلك الزرع ،فلا كراء على الزارع . [3]

---

1. البرزلي ،المصدر السابق ،ص 292.
2. النووي ،المصدر السابق،ص474-475.
3. البرزلي ،المصدر السابق ،ج3،ص 389

النشاط الرعوي :

أهميته :

لم يكن النشاط الرعوي أو تربية الحيوانات منفصلا عن نشاط المزارع بل كان جزءا من حياته اليومية. فقد انتقل الإنسان من صيد الحيوانات كمصدر رئيسي للغذاء إلى استئناسها، [1] و استخدمها في فلاحة الأرض ،من الحرث إلى التزبيل والدرس وحمل المحصول وطحن الزرع . ولم يكن الحيوان وسيلة للزراعة فحسب ،بل استفاد المزارع من جلودها في صناعة القرب ، وغيرها من مستلزمات الحياة ،والعيش على مشتقات ألبانها ولحومها، واستغلال أصوافها و أشعارها و أوبارها في صناعة الملابس والأغطية والخيام ،وظهورها لحمل الأمتعة ونقلها ، والركوب في وقت السلم والحرب .

وقد مارس أغلب سكان المغرب هذه الحرفة منذ فجر التاريخ (العصر الحجري الحديث) فقد وصف المؤرخون اليونان وأولهم هيرودوت سكان المغرب (ليبيا القديمة) بأنهم صنفان تبعا لطبيعة أرضهم :بدو رحل ومزارعون مستقرون . [2]

وربما كان امتهان الرعي وتربية الماشية أكثر انتشارا من إحتراف الزراعة لدى النوميديين بصفة عامة.[3]

---

1. محمد السيد غلاب ويسرى الجوهري ،**الجغرافيا التاريخية** ،القاهرة **1975**،ص**272**.
2. الشنيتي محمد البشير ،**أضواء على تاريخ الجزائر القديم ،بحوث ودراسات** ،دار الحكمة الجزائر ،2003،ص166 .
3. الشنيتي ،المرجع السابق ،ص187.

ساعدت رطوبة المناخ في المغرب الأوسط وخصوبة مراعيه، على تربية المواشي ، باختلاف أنواعها ، من الأغنام والماعز والبقر والخيل والبغال والحمير، والإبل وغيرها .

فقد كانت العديد من القبائل التي سكنت المغرب الأوسط ،أيام الدولة الزيانية تعيش على الرعي، [1] في الأرياف والجبال.ومن أشهرها مغراوة وبنو يفرن وبنو عبد الواد وبنو مرين وبنو راشد وبنو توجين ،وقد اختلفت سبل عيشهم ،فكانوا يرعون الإبل والأغنام ،و يجوبون الأرض بين السهول العليا والصحراء ، طلبا للمراعي الخصبة .[2]

واعتنى أهل الأرياف في المغرب الأوسط من بربر وعرب بالزراعة وتربية المواشي [3] كما هو الحال لبني توجين ومغراوة [4] . حيث قال عبد الرحمن بن خلدون عن بربر زناتة بالمغرب الأوسط :" ...يظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي ...ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج ،وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة شأن العرب ."[5]

---

1. عبد الفتاح الغنيمي ،**موسوعة المغرب العربي ،دراسات في التاريخ الإسلامي** ،مكتبة مدبولي ،ط 1 ، 1414هـ/ 1994م ،القاهرة ،المجلد الثالث ،ج 5 ،ص173.
2. محمود بوعياد ،**المرجع السابق**،ص33.
3. محمود بوعياد ،المرجع السابق ،ص 40.
4. يحي بن خلدون ،المصدر السابق ، ج1ص116.
5. عبد الرحمان ابن خلدون ،العبر ،المصدر السابق ،ج 6،ص116.

فازدهرت حرفة الرعي بالمغرب الأوسط ،وكثر نتاجها حتى وصف صاحب الاستبصار مدن المغرب الأوسط بأنها" كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم والماشية ،طيبة المراعي ، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها .[1] ومنه ما ذكره الحسن الوزان ،أن الناسك المسمى بالسنا الذي سكن أرض البطحاء ،بلغ من ماله خمسمائة من الخيل وعشرة آلاف من الغنم وألفين من البقر .[2]

ومن أهم الحيوانات التي عُرفت في الدولة الزيانية :

الخيل :

فهي أهم أنواع الحيوانات ،لتعدد إستخداماتها في زمن السلم والحرب. فهي في السلم أداة مفضلة للسفر والاحتفال والمباهاة ،وفي زمن الحرب لا توجد وسيلة أفضل من الخيل لمجابهة العدو .

لذا صدرت فتاوى عديدة تحرم على المسلمين بيع الخيل للكفار ، و كانت معاملة رجال الكنيسة مماثلة .[3] كما كانت لحومها غذاء للجائعين في وقت الحاجة ،فقد اضطر السلطان الزياني لأكل لحمها في زمن الحصار الشهير على تلمسان(698-706هـ/1299-1307م) .[4]

---

1. مراكشي مجهول ،**كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشره وعلق عليه سعد زغلول عبد الحميد ،مطبعة جامعة الاسكندرية 1958م ،ص179 .
2. الحسن الوزان ،نفس المصدر ، ج2ص28.
3. الونشريسي ،المصدر السابق ،ج6،ص 67.
4. الحسن الوزان ،نفس المصدر .ج2،ص 18-19.

اشتهرت عدة مناطق من المغرب الأوسط الزياني بتربية الخيول لأهميتها ، منها جبل بني راشد [1] قال عنه الحسن الوزان – إقليم بن راشد– " به سوق يعقد كل خميس يباع فيه عدد وافر من الماشية ...والحبال والسروج والأعنّة وحاجيات الخيل ".[2] كانت خيول الدولة الزيانية محببة لدى ملوك أوربا ،فقد ذكر الحسن الوزان: أن السلطان الزياني أبا حمو موسى الثالث كان يدفع إتاوة سنوية إلى ملك إسبانيا ،قوامها 12000مثقال من الذهب و12فرسا و6من الصقور الإناث [3] .

الأبقار :

كانت تربيتها تنتشر بالشريط الساحلي، خصوصا الممتد من ملوية الى الجزائر، لوفرة العشب الدائم ،واستواء السطح [4]. حيث يقول البكري عن الحوض المحيط بنهر ملوية أنه "كثير البقر والغنم [5] . ويمكن أن نعتبر أغلب السهول المحيطة بمدن المغرب الأوسط وخاصة الساحلية مرتعا خصبا لتربية الأبقار [6]. وإضافة إلى إنتاج الألبان ،والسمن، واللحوم، تكمن أهمية الأبقار كذلك في الزراعة ،بالحرث ،والتسميد، ودرس الزرع، وطحنه ، وخصوصا ذكورها، إذ غالبا ما يربط الثور بالطاحونات .[7]

---

1. ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا** ،حققه ووضع مقدمته وعلق عليه اسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الطبعة الثانية ،الجزائر 1982 ،ص 142.
2. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2، ص 26-27.
3. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2، ص10.
4. بوزيان الدراجي ،المرجع السابق ،ص 113
5. مختار حساني ،المرجع السابق ،ج2،ص39.
6. البكري ،المصدر السابق ،ص 147
7. مختار حساني ،نفس المرجع والجزء ،ص40.

ويبدوا أن تربية الأبقار كانت تتم في السهول ،والهضاب العليا ، بخلاف تربية البغال التي تغلب على المناطق الجبلية. [1]

الأغنام :

ارتبطت تربية الأغنام والماعز بالسهول العليا –إقليم النجود– وخاصة من تاهرت إلى المسيلة.[2] إلا أنه لا توجد أرض تخلو منها في المغرب الأوسط، فحتى بالسواحل كانت تربيتها تمارس على هوامش المدن الكبرى ،مثل الجزائر ،حيث أطلق الاتراك على السهل المحاذي لمدينة الجزائر اسم "كيسي أوفا "،أي السهل الذي ترعى فيه الأغنام ،والذي سمي فيما بعد كتشاوة [3] .ويمكن أن نميز بين طريقتين لتربية الأغنام :

الرعي القارّ : وهو الذي يمارسه المزارعون المستقرون بالأراضي الزراعية ،حيث يمثل الرعي جزءا من مهامهم اليومية الى جانب الزراعة .

ورعي متنقل : يعتمد على الترحال الدائب للقبائل الرُّحل بحثا عن الكلأ .ومنها قبائل بنو راشد التي تتنقل كل موسم ، بمواشيها من جبل عمور بالأطلس الصحراوي، إلى أراضي التل من القلعة إلى غليزان ومغراوة حتى جبال الظهرة .[4]

---

1. مختار حساني، نفس المرجع .
2. نفس المرجع ،ص33.
3. كورين شوفالييه ،المرجع السابق، ترجمة جمال حمادنة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،وزارة الثقافة الجزائر 2007 ص14.15.
4. حساني مختار ،نفس المرجع ،ص 32-33 .

وبين مناطق التل الى الواحات، مثلما هو الحال بالنسبة لبني عامر الذين يقضون الصيف في نواحي نهر واصل ،قرب جبال ونشريس ،ثم ينزحون بداية الخريف إلى وادي ميزاب بالصحراء[1].،و حتى هوامش الصحراء لم تخل من تربية الأغنام ،فقد عُرفت سجلماسة بجودة أغنامها ،وحسن صوفها، الذي قال عنه البكري أنه من "أجود أنواع الأصواف و يُعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالا ."[2]

وكان سكان وهران يربون الأبقار والأغنام حتى أن الماشية رخيصة السعر لكثرتها .[3]

إضافة الى حيوانات أخرى هامة من الإبل والبغال والحمير، فقد كان سكان ريف وجدة يربون عددا من الحمير التي وصفها الحسن الوزان بالجميلة الطويلة القامة ،فهي تنتج لهم بغالا جميلة عالية تُباع في تلمسان بأغلى الأثمان .[4]

وكان يعتمد في تربية هذه الدواب على الكلأ في زمن الربيع أما زمن الجفاف في الصيف فإن الراعي يجد صعوبة في توفير العلف ،الذي غالبا ما يكون تبنا ،أو الحصيل وقد تكون بعض البقول مثل الجلبان والفول المجفف ،في حال لم يتوفر الشعير .[5]

---

1. حساني مختار ،نفس المرجع .
2. البكري ،المصدر السابق ،ص 147
3. سحر عبد العزيز سالم ،**أوراق تاريخية بحر متوسطية** ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية 2006،ص 149.
4. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص13.
5. محمد بن يوسف الزياني .**دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران** .تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي ،وزارة الثقافة ،الجزائر 2007، ص35.(أنظر الملحق رقم 13: رسالة من بو عبد الله الوهراني الملقب بركن الدين ،في حدود 570هـ الى صاحب مصر عز الدين موسك على لسان بغلته ،يُستشف منها ما كان يعلفه الدواب.)

الطيور :

عُرفت بتلمسان تربية الطيور، وخاصة الدجاج الذي تفنن مربوه في تربيته، فقد وصف عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة أفضل الطرق لتربية الدجاج فقال : " إن الدجاج إذا غُذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الإبل وأخذ البيض ثم حضن عله [أي حضنت البيض]،جاء الدجاج منها أعظم ما يكون ،وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحضن فيجيء دجاجها في غاية العظم "[1] و يبدو أن الدجاج كان غذاء مفضلا في المجتمع التلمساني فقد ارتفع سعره أيام الحصار الطويل ،حتى أن سعر الدجاجة الواحدة وصل الى ثمانية دنانير ذهبا. [2] .

إضافة الى حيوانات أخرى غير أليفة عرفتها الأراضي الزيانية مثلما ذكرنا الصقور التي يبدوا أنها نالت إهتمام ملوكا في أوربا [3] . والغزلان والوعول والنعام. [4] والسباع على اختلافها والتي "كانت غنم الرعاة كثيرا ما تتعرض لهجومها .فتفترس أو تعطب كمية وافرة من الغنم وحتى الناس إن استطاعت"[5]

وربيت دودة القز المنتجة للحرير فقد جلب الأندلسيون (الذين سماهم المؤلفون الاوربيون :الموريسك) هذا التقليد [6]واشتهرت بها شرشال التي وجد فيها الحسن الوزان "كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود المعد لهذا الغرض [7].

1. عبد الرحمن ابن خلدون ،المقدمة ،مصدر سابق ،ص114.
2. التنسي ،المصدر السابق ،ص 132.
3. الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص10.
4. الحسن الوزان ، نفس المصدر والجزء ص11.
5. الحسن الوزان ، نفسه .
6. كورين شوفالييه، المرجع السابق ،ص17.
7. الحسن الوزان ،نفس المصدر ،ج2،ص36.

استخدم ملاك الأرض بالدولة الزيانية من القادة والجند والفقهاء وشيوخ القبائل، عمالا لزراعة هذه الأرض بعقود مختلفة الصيغ ،من المزارعة ،والمغارسة ،والمساقاة ، وغيرها من العقود الموثقة لدى الكتاب والفقهاء تحفظ لكل ذي حق حقه.

لقد كان المزارع الزياني يبذل جهدا مضنيا في سبيل الحصول على غلات وفيرة ،فيبدأ موسمه في الخريف بتهيئة الأرض ،وحرثها ،و تزبيلها ، وله فنون مختلفة في عملية البذر وغرس الأشجار كل حسب ما يلائمه من التربة والإقليم المناخي ،وله إبداع في أسلوب الري، والحصاد ،والدرس، وتخزين المحصول .

انعكس التنوع المناخي في المغرب الأوسط على تعدد أنواع الغلات من الزروع والبقول والخضر والثمار ،فلقد حبى الله هذه الأرض بأنواع عديدة من الحاصلات الزراعية ،التي انبهر بها رحالة العصر الوسيط ،وقيدوا في كتبهم الكثير ،عن وفرتها وصفتها وطعمها وحسنها ،مثل البكري ،والادريسي ،والحسن الوزان ،وغيرهم ممن زار بلاد المغرب الأوسط .

إن النظام الجبائي الدقيق الذي كانت تمارسه الدولة يبين لما للزراعة من أهمية في قوة الدولة الزيانية واستقرارها ،فلم يكن جباة الزرع يتهاونون عن عملهم اذا حل موسم جني المحصول وكثيرا ما كان يخرج السلطان بنفسه أو يرسل أحد أولاده لجباية الخراج إذا ما شقت قبيلة من القبائل عصا الطاعة . وجعل للجباية عامل يسمى صاحب الأشغال ،وكلف بمخزن الحبوب عامل يسمى خازن الزرع ،ولكل منهما أمناء ومساعدين .ولم يكن النشاط الرعوي منفصلا عن حرفة الزراعة فكثيرا ماكان المزارع يعتني بمواشيه ،بالموازاة مع حرفة الزراعة لما لهذا المورد من أهمية في حياته الريفية التي تعتمد كلية على الحيوان في الزراعة والتنقل واللبس والغذاء .

خاتمة

إمتدت الدولة الزيانية على رقعة واسعة من بلاد المغرب الأوسط ،بين الحفصيين من جهة الشرق والمرينيين من جهة الغرب ،ورغم محاولة الطرفين التوسع على حساب الزيانيين إلا أن أمراء المغرب الأوسط استطاعوا الحفاظ على دولتهم ،لمدة ثلاثة قرون 7-8-9هـ /13-14-15م ،وتمكنوا من فرض سلطتهم الى تخوم بني حفص شرقا حتى وصلوا بونة .مثل السلطان أبي حمو موسى الأول **707 - 781** هـ /**1307-1318**م،الذي أخضع القبائل المتمردة في المغرب الأوسط من بني توجين و مغراوة ،فتوسع في ونشريس وشلف ،ثم زحف على متيجة وسيطر على مدينة الجزائر ،ثم دلس، ووصلت جيوشه الى بجاية وقسنطينة ،ومد نفوذه الى بلاد الزاب التي كانت للحفصيين. فقلص نفوذهم ،وضم الجنوب الغربي من الصحراء ،واستطاع أن يحافظ على الحدود الغربية لدولته مانعا بني مرين من تجاوز وجدة غربا .

لم تكلّ محاولات من خلفوه في السيطرة على كامل المغرب الأوسط ،مما استنزف قوة الدولة و جعلها عرضة للأخطار المحدقة بها من الداخل والمتمثلة في قبائل العرب الهلالية ،مثل ثورة محمد بن يوسف الملياني وغيرها ،وهو ما صعب على الحكومة المركزية في تلمسان المحافظة على الأمن في المدن القاصية والمسالك البرية والموانئ البعيدة .أو الخطر الخارجي ،الحفصي والمريني، فقد تحين الطرفان فرصة ضعف الدولة الزيانية لتوسيع نفوذهما على حسابها .لينضاف خطر آخر في الفترة الأخيرة من حياتها ،وهو الغزو الاسباني لأهم موانئ المغرب الاوسط ،وهو ما كان سببا للتدخل التركي الذي كانت نهاية الدولة الزيانية على يده.

تعد الزراعة من أولى الحرف التي زاولها الإنسان منذ فجر التاريخ ،ولم يشكل سكان المغرب الأوسط إستثناء ،إذ ارتبط المزارع بالأرض ارتباط الرضيع بأمه، فهي مصدر غذائه ،وكسائه

،ومأواه . ثم تجمع الإنسان في القرى التي تطورت إلى مدن ،ومع ذلك ظلت النسبة الغالبة من

المجتمعات المتعاقبة على المغرب الأوسط تعيش حياة هادئة في الأرياف ، مهتمة بفلح الأرض وزراعتها وغرس الأشجار ورعايتها ،ورعي المواشي .

أصبح المزارع في عهد الدولة الزيانية مصدر ثراء الخزينة ،التي كانت تجبى إليها الجبايات من أقصى غرب البلاد الى شرقها وهو ما مثل عاملا من عوامل قوتها ،واستقرارها، وتوسعها .

رغم ذلك لم يحظ المغرب الأوسط في عصره الوسيط بدراسات تتخصص في أحوال البادية والريف ،وتميط اللثام عن هذا الجانب الهام من حياة المجتمع، ويومياته التي تتجاوز تاريخ الحروب والغزوات ،وأحوال الدول والملوك ،الذي أفاضت فيه كتب التاريخ والسير والمغازي ،اللهم إلا ذلك الشتات من المعلومات المتناثرة في بطون هذه المؤلفات، والتي أشارت إلى النشاط الرعوي ،والزراعي، وحياة المجتمعات الريفية ،عن طريق الصدفة ،في خضم أخبار الحملات العسكرية، وتوسعات القادة ، والسلاطين .أو كتب النوازل الفقهية التي قيدت شكاوى المتخاصمين ،وأسئلة المستفتين في أحكام عقود ملكية الأرض، وشركات المزارعين ،وأنظمة السقي ،وتربية الحيوانات ،وغيرها .

وقد اعتمدت البحوث المعاصرة هذه المؤلفات لاستخلاص المادة التاريخية من أفواه المستفتين وآراء المفتين ،للحصول على نزر يسير يفيد الموضوع .

إن مقومات الزراعة في الدولة الزيانية متوفرة ومتنوعة ،فهناك العوامل الطبيعية والبشرية : فالقسم الشمالى من المغرب الأوسط له تضاريس متباينة من سهول ساحلية ضيقة ومتقطعة مثل سهل وهران غربا ،وسهل متيجة في الوسط، وسهل بونة في الشرق .وهي سهول فيضية خصبة وافرة الانتاج ،تُعرف بتنوع حاصلاتها من الأشجار المثمرة على اختلاف أنواعها ،وسهول داخلية عليا مشهورة بزراعة الحبوب بأنواعها ،مثل سهل العباد ،وبني راشد غربا ،الى سرسو وطيطري، وإلى سهول سطيف وقسنطينة شرقا . وهذه السهول منحصرة بين كتلة من

الجبال الممتدة من الغرب إلى الشرق، في سلسلتين متوازيتين التلية شمالا والصحراوية جنوبا .ولذلك أهمية بالغة للزراعة، فالسلسلة الأولى تمثل حاجزا يمنع مرور المؤثرات البحرية باتجاه الداخل وهو ما يفسر غزارة الأمطار على الشريط الساحلي (أكثر من 1000مم في السنة) ما يزيد في كثافة النشاط الزراعي بينما يقل التساقط باتجاه الأراضي الداخلية الملائمة لزراعة الحبوب في المناطق الداخلية لوجود تربة خفيفة بالسهول العليا والمناخ شبه الجاف المساعد على نضوج هذا المحصول صيفا ،وعلى هوامش الصحراء تصلح هذه الأراضي للنشاط الرعوي حيث نبات الإستبس والحلفاء الذي يمثل ملاذ القبائل الرعوية التي تميل إليها في فصل البرد ،قادمة من المناطق الشمالية بعد انقضاء الصيف . أما سلسلة الأطلس الصحراوي فهي حاجز طبيعي ضد زحف الرمال من الصحراء الى المناطق الداخلية .كما تعد هذه الجبال وخاصة التلية مصدرا لمياه الأنهار التي تجري باتجاه الساحل فتصب في البحر أو باتجاه الداخل فتصب في الأحواض والشطوط والسبخات .

إختلفت تركيبة المجتمع الزياني في الريف كاختلافها في المدينة ،وهذا ما أضاف عامل قوة للنشاط الزراعي ،فالقبائل البربرية التي مارست الزراعة هي تلك التي استقرت في السهول على ضفاف الأودية وبسائط الأرض الخصبة . ثم جاءت القبائل العربية أفواجا، مستفيدة من سياسة الإقطاع التي اتبعها السلاطين الزيانيون ،فتحولت هذه القبائل من حرفة الإغارة والرعي ، إلى حياة الإستقرار ، وامتهان حرفة الزراعة ،واختلطت مع البربر فكونوا مجتمعا واحدا .واستفاد المزارع الزياني من خبرة اللاجئين الأندلسيين منذ القرن السابع هجري /الثالث عشر ميلادي ،لمهارتهم في الميدان الزراعي . فازدهرت الزراعة ،وتوسعت وأُدخلت تقنيات جديدة في الري، واستغلال الأرض، وغرس الأشجار، وخاصة الزيتون والحوامض .كما إستفاد النشاط الزراعي من جهد العبيد ،الذين استغلوا في النشاط الزراعي أكثر من غيره من النشاطات الأخرى ،لقوتهم وشدة تحملهم مشاق حرث الأرض وبذرها وسقي المحاصيل وجنيها وحملها .

كما لم يحظ نظام الأرض في المغرب الأوسط باهتمام المصادر ،فلم تفصل في طبيعة ملكية أرض المغرب ،لكن لا يمكن فصلها عن بقية أرض المغرب ،الذي أخضعت أرضه للإقطاع ونظم الاقطاع منذ العهد الموحدي ،واستمر هذا النظام في العهد الزياني. فقد كانت الأرض وسيلة لمكافأة شيوخ القبائل والفقهاء والأبناء والأحفاد والجند والقادة . ولم يكن الإقطاع نوعا واحدا فقد اختلفت صيغه بين إقطاع تمليك وهو تمليك الأرض ملكية مطلقة للمستفيد ولأبنائه من بعده .وإقطاع منفعة أو ما سمي في النوازل بأرض الظهير ،أي الإستفادة من الارض تكون مؤقتة تنقطع بموت المستفيد أو بفسخ الامام لعقد المنفعة .وإقطاع التوظيف أو أرض الجزاء وهي التي تمنح للمستفيد مقابل دفع ضريبة للدولة عليها .إضافة إلى أنواع أخرى من الملكية وهي أرض الموات التي سميت عند المازوني بالمعطول أو الشمرة التي تمنح لمن يحييها ويزرعها وأرض الحبوس التي توهب للملك العام وتوقف على المساجد والزوايا .

وقد أمدتنا كتب النوازل بعدة أنواع من عقود الشراكة بين ملاك الأرض من كبار الوجهاء في الدولة، والقادة ،و الجند ،والفقهاء، وشيوخ القبائل الذين يفضلون فلح أراضيهم بواسطة مزراعين أكثر دراية منهم بفلح الأرض، وأكثر جلد منهم ،على مختلف العملية الزراعية . وتعددت أنواع هذه الشراكة فقد عرفت الدولة الزيانية عقود الخماسة ،والمرابعة، والمثالثة ،والمناصفة حسب الجزء الذي يحصل عليه المزارع من المحصول ،ومدى مساهمته في وسائل العملية الانتاجية، المتعددة ،مثل الأرض ،والزريعة ،والدواب، والجهد وكلما زادت مساهمة المزارع من هذه الوسائل، زادت حصته في الإنتاج .إضافة إلى العقود المعروفة من قبل ،مثل المزارعة ،والمغارسة ،والمساقاة، والقبالة .وكل منها يختلف عن الآخر بشروط وحدود معينة .

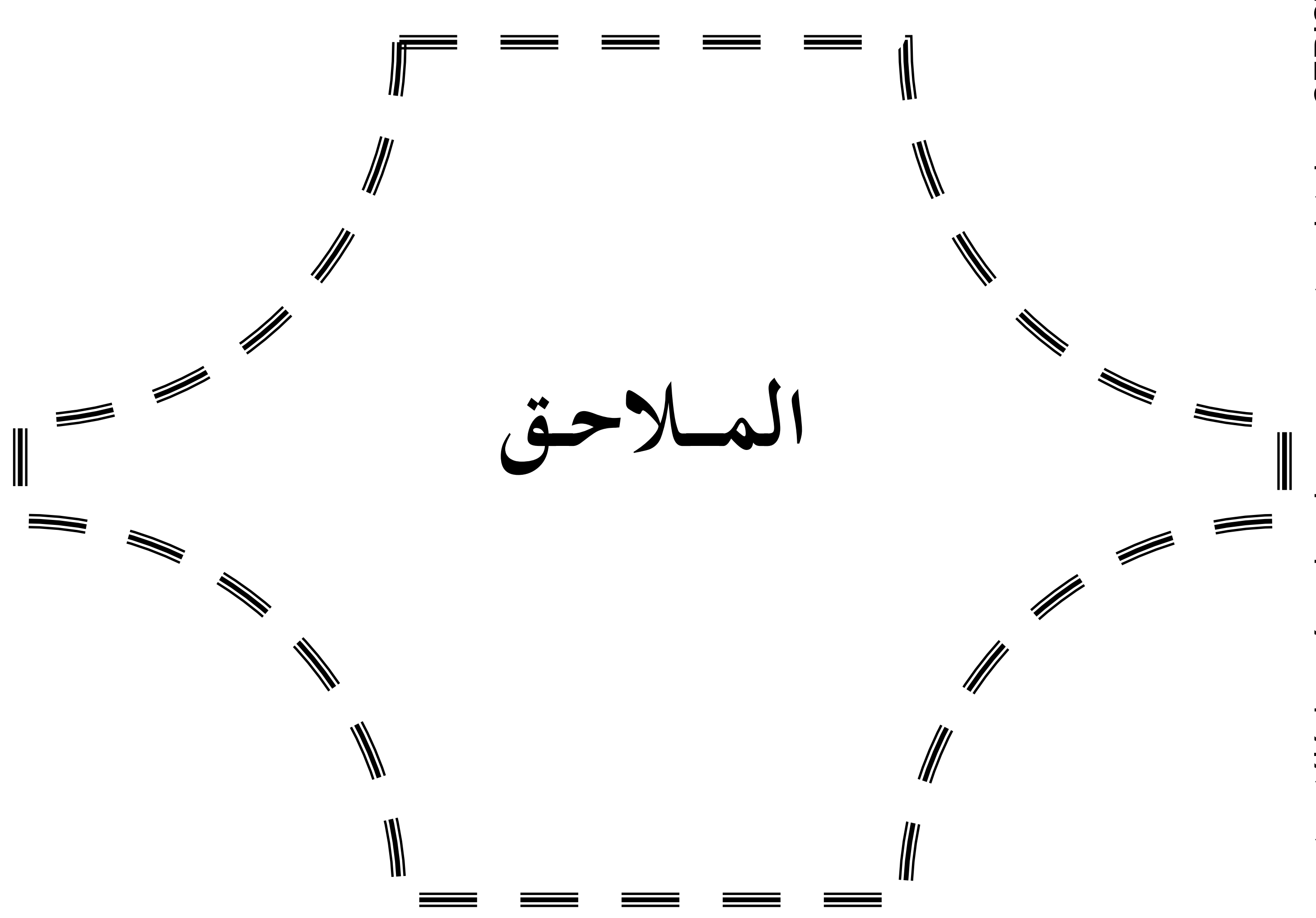
يمتد النشاط الزراعي على طول السنة فهو يبدأ في فصل الخريف بتهيئة الأرض، وحرثها أكثر من مرة ،حتى تصبح لينة بما يكفي لتقبل الزريعة .ثم تخصيب التربة بوضع فضلات الحيوانات فيها لزيادة مردودها . ثم عملية البذر أو الغرس ،فالسقي الذي أتقنه المزارع في المغرب الأوسط واعتمد فيه عدة وسائل، كما أن هناك من الأراضي التي اعتمدت على مياه الأمطار وسميت بالأرض البعلية .ثم عملية الحصاد و الدرس وتخزين الحاصلات الزراعية ،على حسب عادات وتقاليد معينة ،اشتهر بها مزارعي تلك المرحلة ،مما نقلته لنا كتب التاريخ العام والنوازل .

واشتهر المغرب الأوسط بتنوع الحاصلات الزراعية ووفرة الإنتاج، فقد انتشرت الحبوب وعلى رأسها القمح والشعير في السهول العليا .أما الخضر والأشجار المثمرة فقد اشتهرت و ارتبطت بمناخ البحر المتوسط مثل الزيتون والحوامض ،وتوسعت المصادر في وصفها ،فتحدثت عن الفواكه كالتين ،والسفرجل ،والعنب وغيرها .

وقد استفادت الدولة الزيانية من هذا الثراء الزراعي ،حيث فرضت نظاما صارما لجباية الخراج، أو العشر الذي استمد من الشريعة الإسلامية ،ونظم الدول السابقة .فقد كانت الضريبة تفرض على جميع أنواع المزروعات ،والمواشي ،ما ساهم في رخاء الخزينة الزيانية في غالب عهدها .

وكان الرعي من صميم عمل المزارع ،إذ تعد المواشي جزءا من حياة المزارع وخير معين له على أعباء الزراعة خصوصا الأبقار والخيول، في الحرث ،والدرس ،وتحريك عجلة الأرحاء ، لطحن الحبوب، والناعورة للسقي . فضلا عن الأغنام والماعز التي كان المزارع يرعاها قرب داره أو قريته . وهناك نوع آخر من الرعي الذي عرف بالدولة الزيانية وهو المتنقل الذي مارسته القبائل الرحل ،دائبة الترحال بحثا عن الماء والكلأ.

وفي الأخير إن تطرقي لموضوع النشاط الزراعي في المغرب الأوسط في العصر الزياني نابع من يقيني بأهميته ،وضرورة كشف أغوار هذا الجانب من تاريخنا المغاربي ،ولا أدعي أنني وصلت الى كامل الدراسات والمصادر التي تناولت الموضوع ،فقد استنفدت كل الفرص التي أتيحت لي للبحث وكلي أمل أن أثير اهتمام الباحثين وأشحذ عزائمهم للتوصل الى ما عجزت عنه ،وهو ما يمكن أن يدرك عن طريق البحث المتواصل وتتبع المصادر بمختلف أنواعها .



الملاحق

الملحق: 1 *الجدول (1)أهم احداث الدولة الزيانية

ميلادي	هجري	اهم احداث الدولة الزيانية
1282- 1235	681-633	حكم يغمراسن
1248	646	يغمراسن بن زيان ينتصر على السعيد الموحدي
1269	668	استيلاء بنيس مرين على مراكش وانقراض دولة الموحدين
1303-1282	703-681	ابو سعيد عثمان بن يغمراسن
1307-1299	706-698	الحصار الطويل على تلمسان
1307-1303	707-703	ابو زيان الأول محمد بن عثمان
1318-1307	718-707	ابو حمو موسى الأول
1337-1318	737-718	ابو تاشفين عبد الرحمان الأول
1357	737	استيلاء ابي الحسن المريني على المغرب الأوسط
1352-1348	753-749	ابو سعيد عثمان الثاني (ومنه يبدأحكم أبناء يحي بن يغمراسن)
1352	753	استيلاء ابي عنان المريني على المغرب الأوسط
1389-1359	791-760	ابو حمو موسى الثاني
1393-1389	795-791	ابو تاشفين الثاني
1399-1394	801-797	ابو زيان الثاني
1462-1431	866-834	ابو العباس احمد العاقل
1468-1462	873-866	محمد الثالث المتوكل على الله
1505-1468	910-873	محمد الثابتي
-1505	910	استيلاء الاسبان على المرسى الكبير
1516-1505	922-910	محمد الخامس بن محمد الثابتي
1509-	914	استيلاء الاسبان على وهران
1510	915	استيلاء الاسبان على بجاية
1528-1516	934-922	ابو محمد الثالث بن محمد الثابتي
1540-1528	947-934	عبد بن ابي خمو الثالث
1550-1540	957-947	ابو زيان بن عبد الله
1541	948	فشل هجوم كارس الخامس على الجزائر
1556-1550	964-957	الحسن بن عبد الله الزياني
1556	964	انقراض الدولة الزيانية

*رشيد بوروبية وآخرون ،المرجع السابق، ص 507-522، (بتصرف)

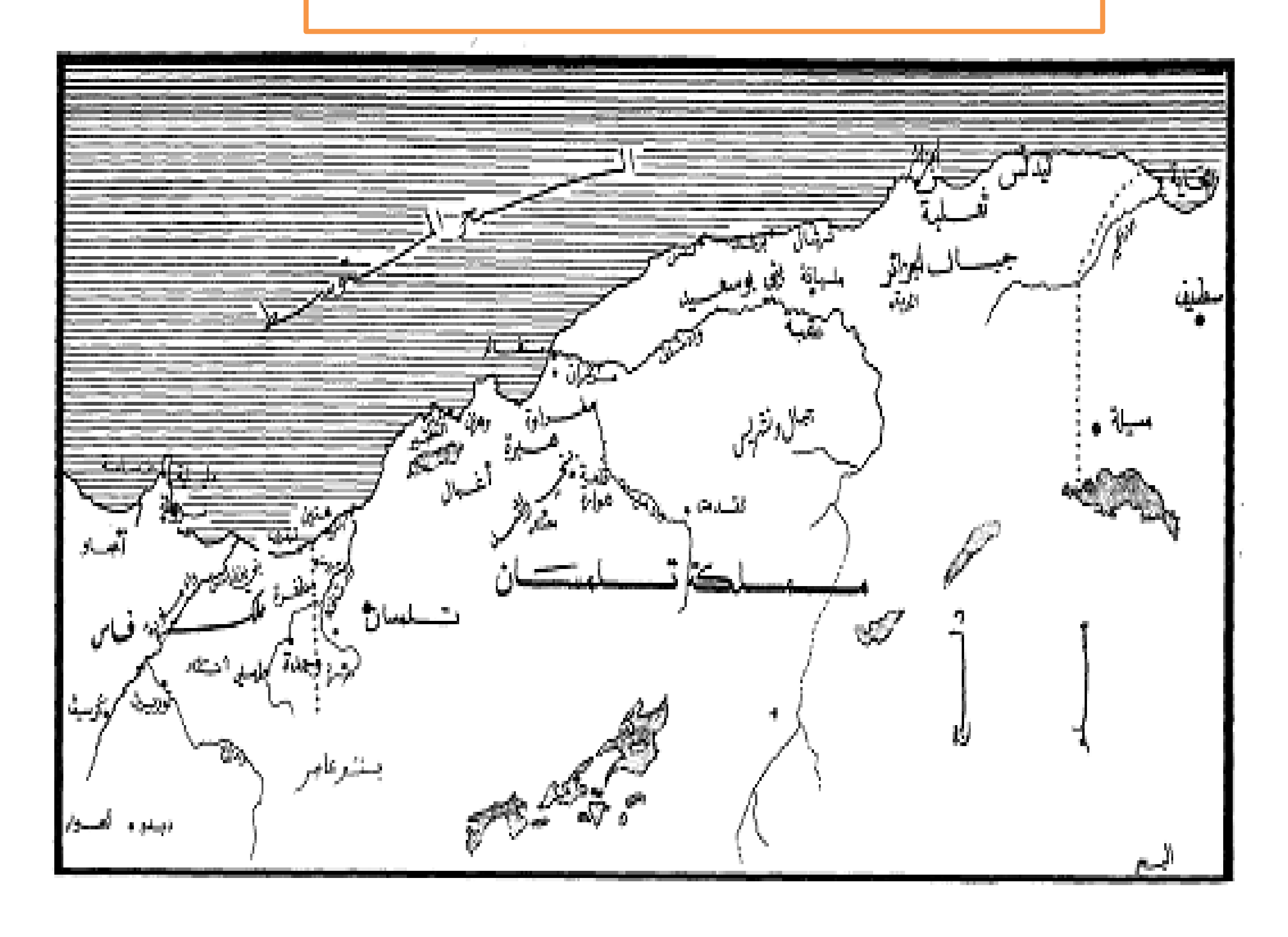
الملحق : 2 المغرب الأوسط في عصر الولاة



عن / حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام ،الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ،ط1,1407هـ/1987م ،ص81

.

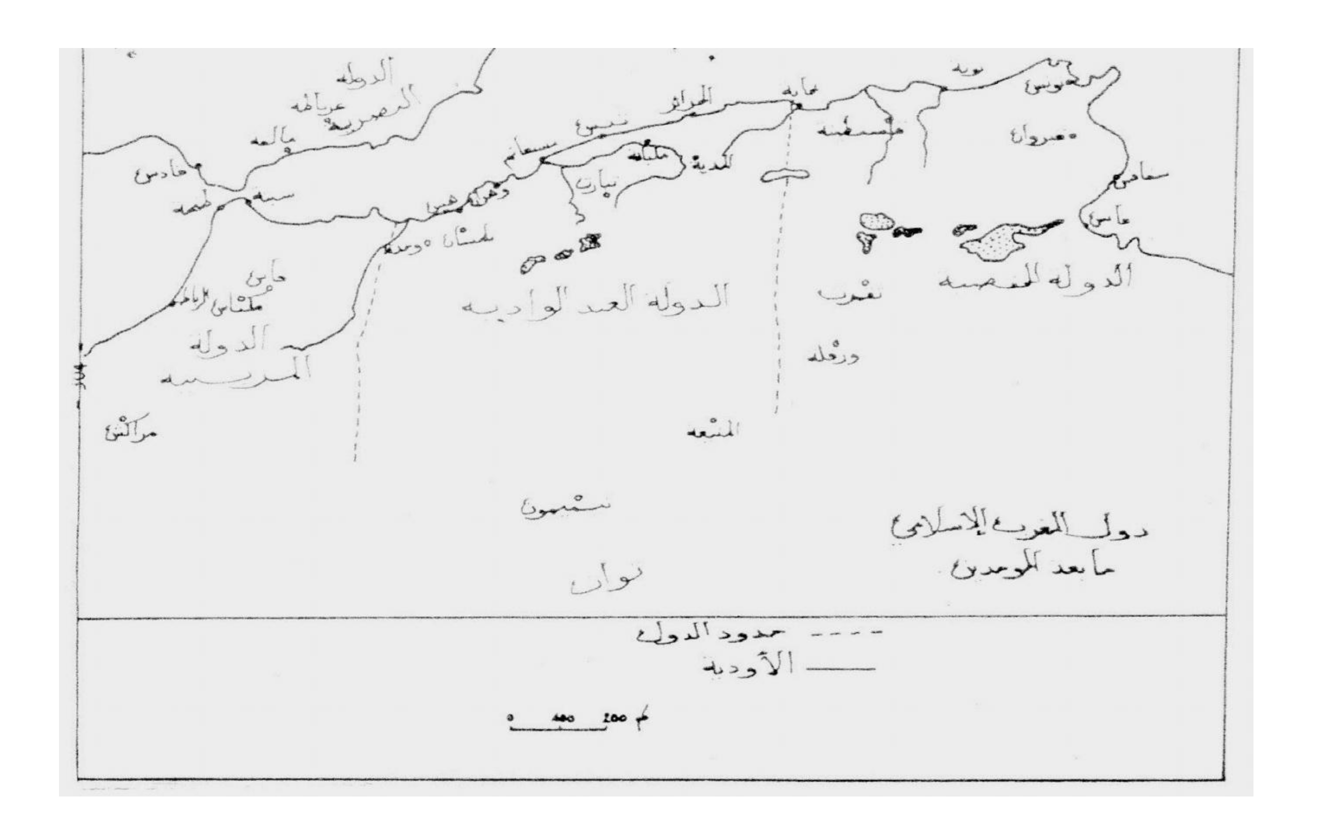
المحق :4 خريطة المغرب الاسلامي في القرن 10هـ/16م



مملكة تلمسان

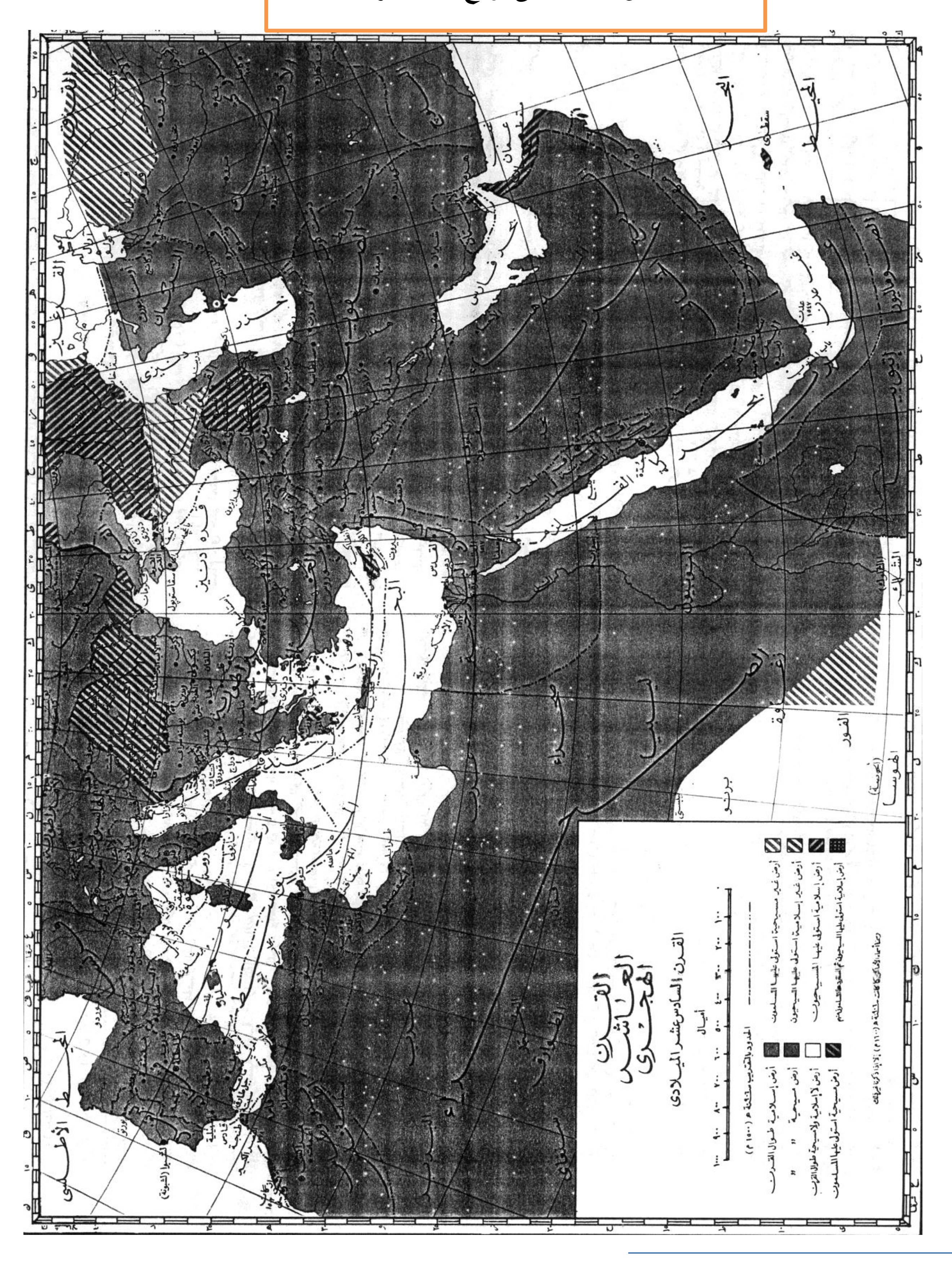
عن/الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج**2**، ص**5**

الملحق :3 خريطة المغرب الاسلامي في عهد ما بعد الموحدين



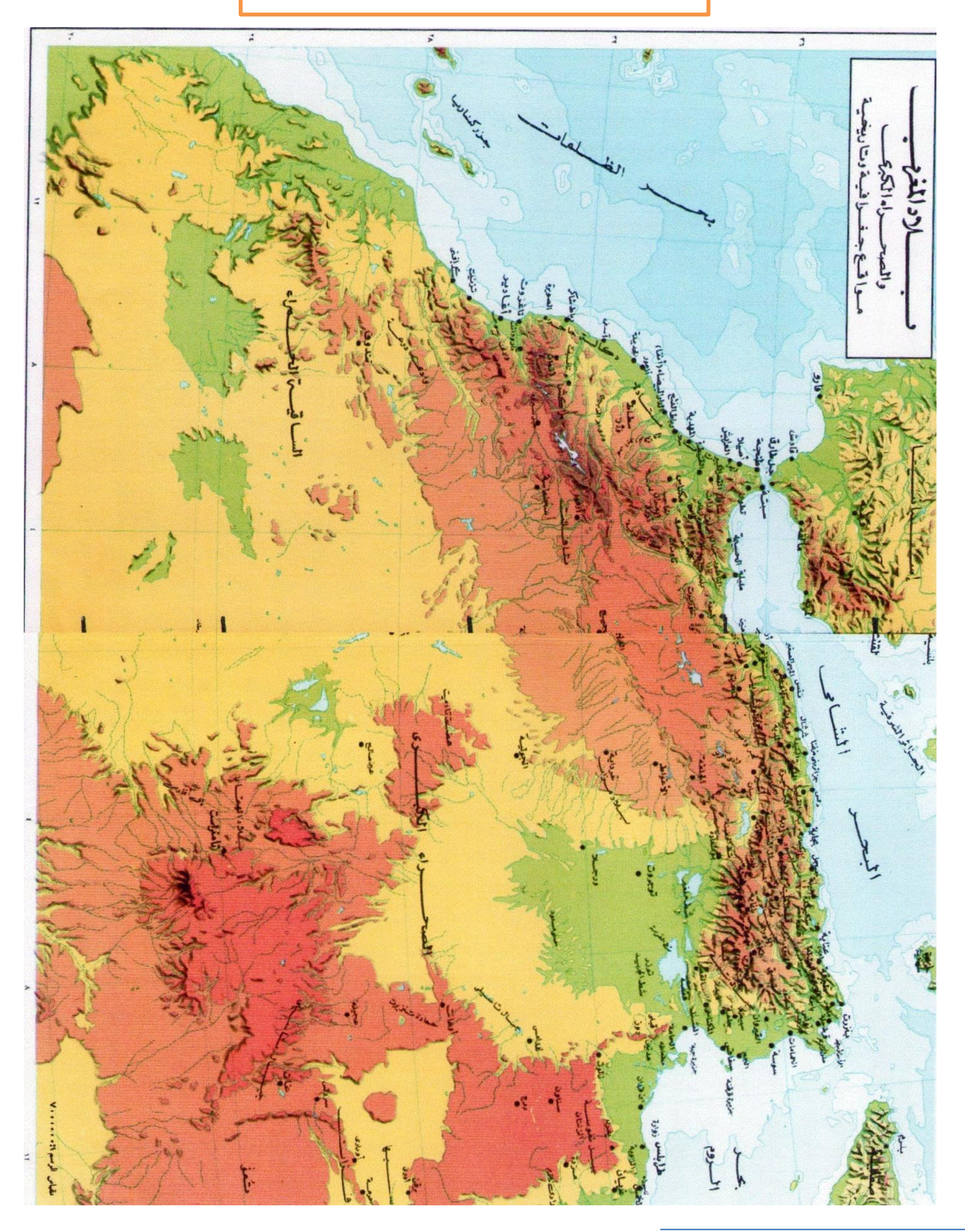
عن / بوزيان الدراجي ،المرجع السابق ،ص104.

الملحق : 5 أقصى توسع للدولة الزيانية



هاري هازارد ،**اطلس التاريخ الإسلامي**،رسم لستركوك وج. ماكس ميلي .ترجمة ابراهيم زكي خورشيد ،مطبعة القاهرة .

الملحق : 6 **تضاريس المغرب الإسلامي**



عن / حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام ،الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ،ط1,1407هـ/1987م ،ص156-157

الملحق : 7 (**جدول 2)درجات الحرارة الصغرى والمفضلة والعظمى اللازمة لبعض المحاصيل**

المحصول	درجات الحرارة المئوية		
	الصغرى	العظمى	المفضلة
القمح	5-4	32-30	25
الشعير	5-4	30-28	20
الشوفان	5-4	30	25
الشيلم	2-1	30	25
الذرة الشامية	10-8	44-40	35-32
الذرة الرفيعة	10-8	40	35-32
الأرز	12-10	37-36	32-30
	16-10	37	35
القطن	3-2	30	25
الكتان	2-1	45	35
التيل	1	37	30
البرسيم الحجازي	5-4	36	30
العدس	5-4	30-28	25
بنجر السكر			

علي أحمد هارون ،المرجع السابق، ص90.

الملحق : 8 (**جدول3**) **يبين بعض القبائل والأشخاص الذين حصلوا على إقطاع في تلمسان والدولة الزيانية** *

إسم القبيلة أو الشخص	إسم المقطِع	منطقة الإقطاع	نوع الإقطاع
أولاد سلامة	يغمراسن	ناحية القصبات	تمليك
يوسف بن مهدي من مشايخ سويد	يغمراسن	بلاد سيرات والبطحاء	تمليك
عنتر بن طراد بن عيسى من مشايخ سويد	يغمراسن	قرارة البطحاء	استغلال
الخراج	أكثر من سلطان مع تركيز ابو تاشفين	مناطق قرب ندرومة ومديونة وجبل بني ورنيد وبني سنوس وبني يزناسن	حربي
بنو عامر	يغمراسن	نواحي بتلمسان ووهران	حربي
زغبة	أبو حمو الثاني	بمنطقة التلول	حربي
المعقل	أبو حمو الثاني	بعض نواحي تلمسان	حربي
محمد أبا بكر بن عرين من سويد	أبو حمو الثاني	منطقة مازونة	تمليك
قبيلة ذوي منصور من المعقل	أبو حمو الثاني	--------------	حربي
عرب أولاد عريف	أبو حمو الثاني	قلعة بني سلامة ومنداس	تمليك
داوود بن هلال بن عطاف من بني عامر	أبو حمو الثاني	بسيط حمزة قرب تلمسان	تمليك
المعقل	أبو حمو الثاني	منطقة مديونة وندرومة وبني سنوس	حربي

*عن /عبد الرحمان ابن خلدون .العبر ،ج7،ص124-146،عبد الرحمان الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج2،ص151، محمدالميلي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج2،ص373-375،المرجع السابق،ص210.

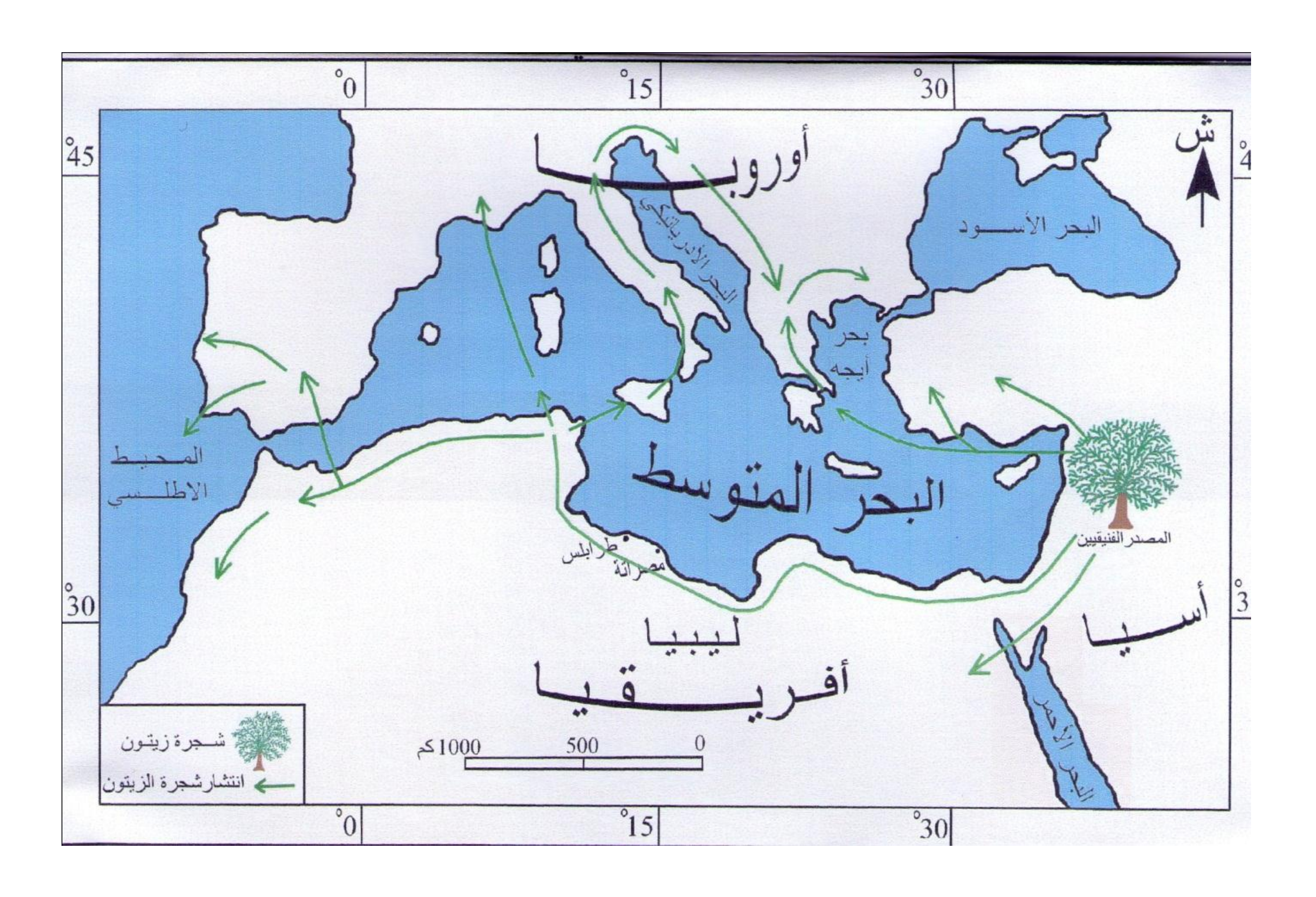
الملحق : 9 (جدول4) أهم الحاصلات الزراعية في العهد الزياني ،وسعرها وقت الغلاء في أيام الحصار الطويل على تلمسان سنة 698-706هـ/1299-1307م*

النوع/ الوحدة	السعر	الملاحظة
برشالة قمح	12,5مثقال	البرشالة تساوي 12 أوقية أو 12,5رطل انظر : عبد الرحمان ابن خلدون ،العبر ، ج 7 ،296، مختار حساني ، الدولة الزيانية ج2،ص25،وذكر يحي بن خلدون في الغية أن سعر صاع القمح بلغ دينارين ونصف الدينار في ايام الحصار وبعده كل ثمانية أصيع بدينار وسعر الشعير نصف ذلك
برشالة شعير	6مثقال	
أوقية الزيت	12درهم	ذكر التنسي في نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك تلمسان ،ص132أن سعر الرطل منها وصل الى دينارين
أوقية السمن	12درهم	
اوقية العسل	2دينار/ رطل	
أوقية الفول	20درهم	"
الحطب	10دراهم	"
الكرنب/ واحد	3أثمان مثقال	"
الخس/واحد	20درهم	"
اللفت/ واحد	15درهم	"
القثاء/واحد	40درهم	"
الفقوس/واحد	40درهم	"
الخيار/ واحد	3أثمان درهم	"
البطيخ/ واحد	30درهم	"
التين/ حبة	2درهم	"
الإجاص/ حبة	2درهم	""
التمر	-	"
مواد مصبغة (النيلة ،ورد النيل)	-	"

*

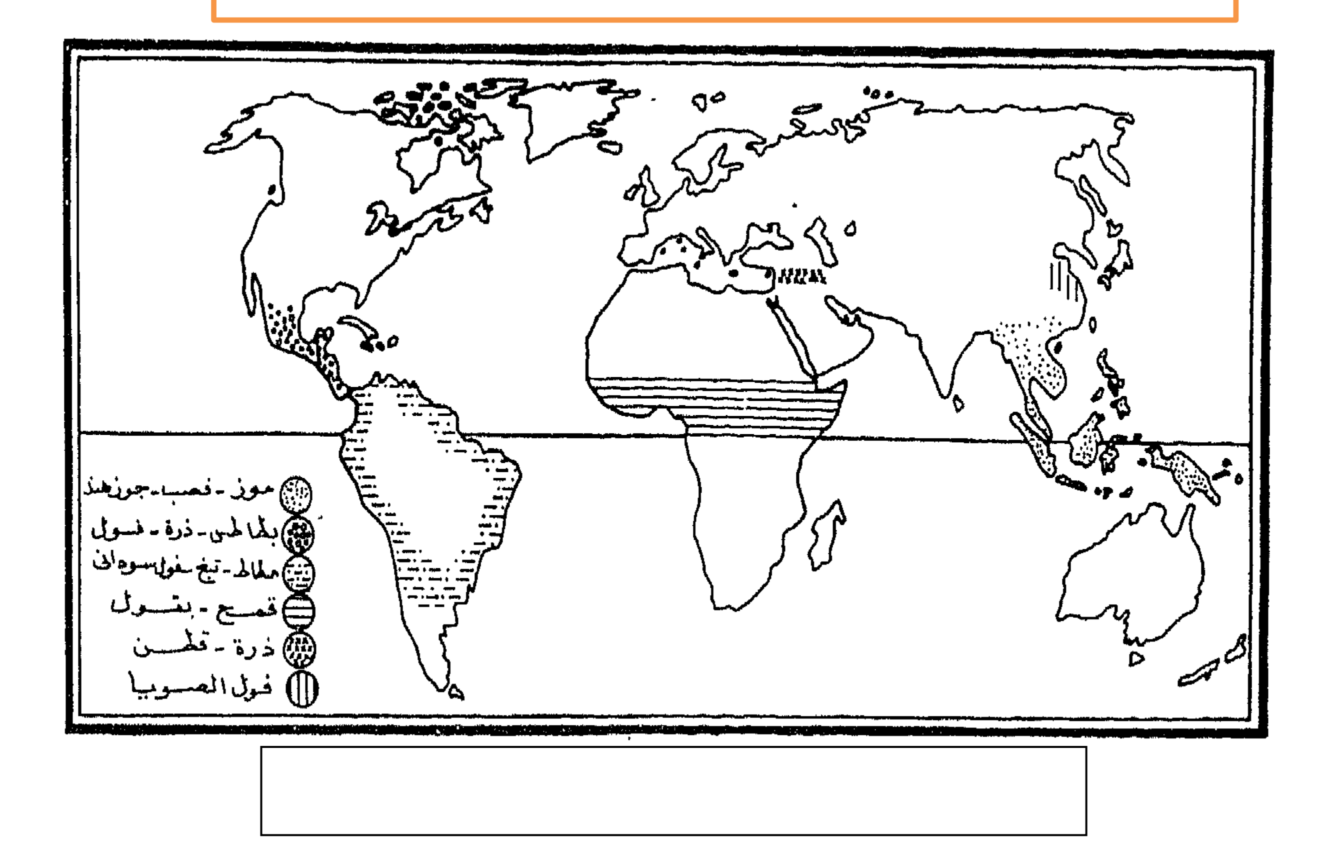
(أنظر :ابن خلدون عبد الرحمان،نفس المصدر،ص296، ابن خلدون يحي،المصدر السابق،210،التنسي ، المصدر السابق،ص132. أنظر الحسن الوزان ،المصدر السابق.ص 18_19.)

الملحق : 10 انتقال شجرة الزيتون من فينيقيا الى المغرب



ابتسام علي سليم المجيعي، أشجار الزيتون في شعبية مصراتة، دراسة في جغرافية الزراعة ،بحث مقدم استكما لا لمتطلبات نيل درجة التخصص العالي" الماجستير"،جامعة 7 أكتوبر كلية الآداب –مصراتة الدراسات العليا – قسم الجغرافيا اشراف الدكتور– : ونيس عبدالقادر الشركسي العام الجامعي 2007، ص 23.

الملحق : 11 : التوزيع الجغرافي لمنشأ بعض المحاصيل الزراعية في العالم



علي أحمد هارون، المرجع السابق ، ص34.

الملحق :12 : خريطة الزراعة في المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرون الوسطى *

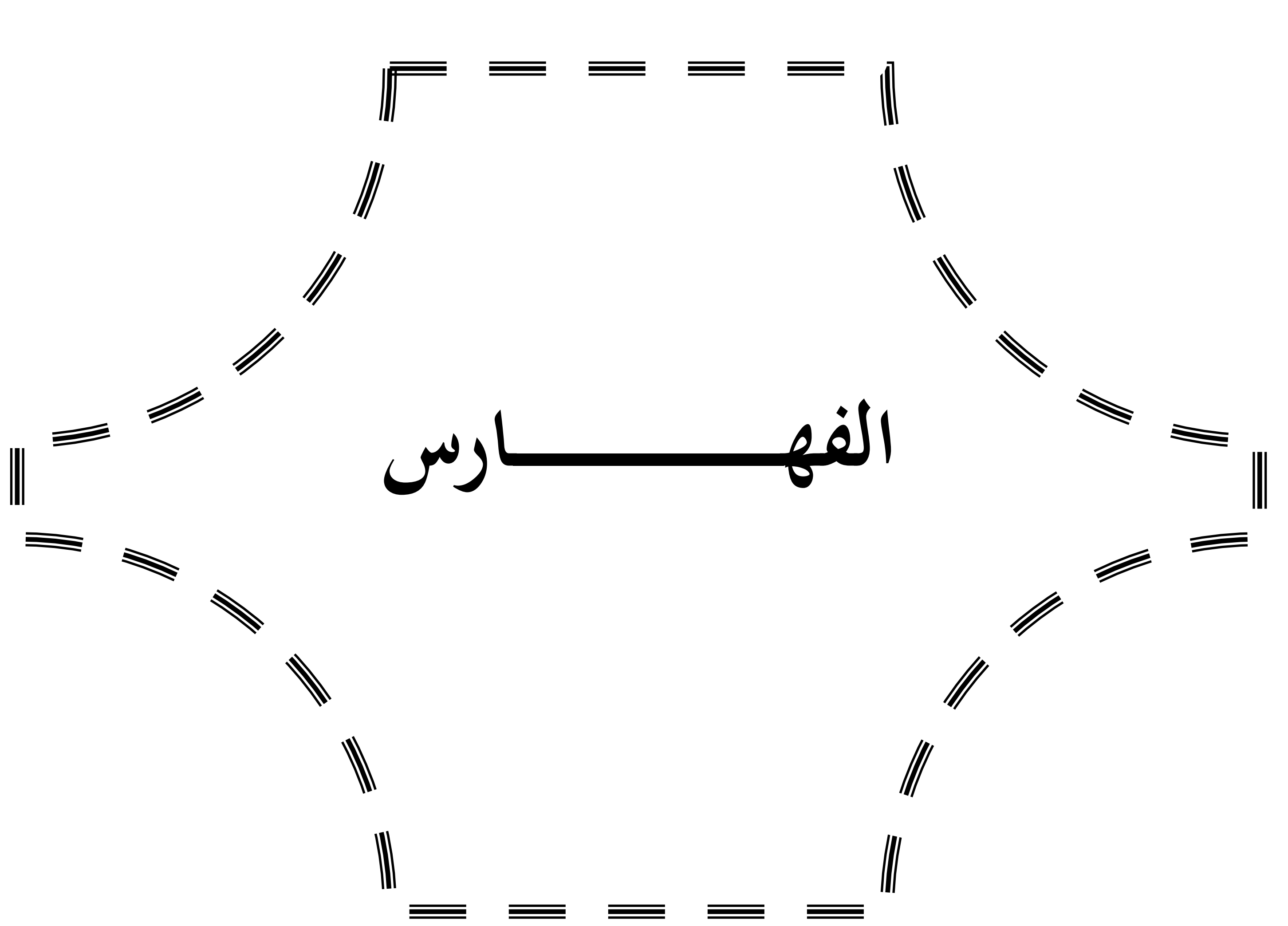
10. بشاري لطيفة ،**التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية** ، من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م) ،رسالة لنيل شهادة الماجستير ،تحت اشراف موسى لقبال ،السنة الجامعية 1986-1987م ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،ص337.

الملحق :13 : رسالة من بو عبد الله الوهراني الملقب بركن الدين في حدود 570هـ الى صاحب مصر عز الدين موسك على لسان بغلته يستشف منها ما يعلفه الدوابّ*

" المملوكة ريحانة بغلة الوهراني تقبل الأرض بين يدي الامير عز الدين ظهير امير المؤمنين نجاه الله من حر السعير وعطر ذكره قوافل العير ،ورزقه من القرط والتبن والشعير ما وسق مائتا الف بعير واستجاب فيه ادعية الجم الغفير مثل الخيل والبغال والحمير وتنهي اليه ما تقاسيه من مواصلة الصيام وسوء القيام والتعب باليل والدواب نيام ،وقد اشرفت المملوكة على التلف وصاحبها لا يحتمل الكلف ،ولا يوقن بالخلف ولا يقول بالعلف ،لأنه في بيته مثل المسك والعبير و الأطرفيل الكبير ،اقل من الامانة في الاقباط ومن الغفل في رأس قاضي سنباط ،فشعيره يعد من الشعري العبور لا وصلا اليه ولا عبور ،وقرطه اعز من قرط مارية ،لا تحرجه صدقة ولا هبة ولا عارية والتبن احب اليه من الابن ،والجلبان اعز عنده من ذهن البان و القظيم اعز من الدر النظيم ،والفظة اجمل عنده من سبائك الفظة ،واما الفول فمن دونه الف باب مقفول ،وما يهو ن عليه ان يعلف الدواب ،الا بعيون الآداب ،والفقه اللباب ،والسؤال والجواب وما عند الله من الثواب ومعلوم يا سيدي ان البهائم لا توصف اللحوم ولا تعيش بسماع العلوم ،ولا تطرب بشعر ابي تمام ولا تعرف الحارث بن همام ولا سيما البغال تشتغل في جميع الاشغال ،فسلة من الحصيل احب اليها من كتاب البيان والتحصيل ،وقفة من الدريس احب اليها من فقه محمد بن ادريس ،فلو اكل البغل كتاب المقامات ،لغمه الحال ومات وان لم يجد الا كتاب الرضاع لشهق وضاع ،ولو قيل انت هالك ان لم تأكل موطأ مالك وما قبل ذلك وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح ابيات الجمل ،ولا يصغي لمقال ان قيل له كل موازن الافعال .وحزمة من الكلأ احب من شرح ابي العلا وليس عنده بطيب شعر المتنبي ابي الطيب ،واما الخيل فلا تطرب الا بسماع الكيل واذ اكلت كتاب الذيل ،ماتت بالنهار قبل الليل ،والويل لها ثم الويل ،ولا تستغني الأكابيش عن اكل الحشيش بما في الحماسة من شعر ابي الجريش ،واذا اطعمت الحمار شعر ابن عمار حل به الدمار ،ومات بالليل قبل النهار ،او اصبح منفوخا كالطبل على باب الاصطبل وبعد هذا كله فقد راح صاحبها الى العلاف وعرض عليه مسائل الخلاف وطلب منه وجبة شعير فحمل على عياله الف بعير واكثر له من الشخير والنخير ،وانصرف هذا الشيخ مكسور القلب مغتاضا من السلب وهو ابخس من ابن بنت الكلب ،فالتفت الى المسكينة وقد سلبه الله قول السكينة ،وقال لها ان شئت ان تكدي فكدي ،لا ذقت شعيرا ما دمت عندي ،فبقيت المملوكة حائرة لا قائمة ولا سائرة ،فقال لها العلاف لا تجزعي من خياله ولا تلتفتي الى سباله ،ولا تنظري الى نفقته ولا يكون عندك أحسن من عنفقته هذا الامير عز الدين سيف المجاهدين عن الكروب ،ولا يرد قائل ولا يجيب سائلا وفلما سمعت المملوكة هذا الكلام وجذبت الزمام ورفست الغلام ،وقطعت الحزام ،وفسخت اللجام ،وجرت بغير احتشام ،حتى طرحت خدها على الاقدام ،وقالت الملجا امير الاسلام ،ورأيك اعلى والسلام "

---

* محمد بن يوسف الزياني .دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران .تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي ،وزارة الثقافة ،الجزائر 2007، ص25.



الفهـــــــــــــارس

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والدول

فهرس الأماكن

-الهبط :101.

-الهند : 102.

-هنين: 17-30-45-100.

هوارة : 58-67.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

- القرآن الكريم .
- ابن الأثير ،(عز الدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير) ،**الكامل في التاريخ** ،دار ومكتبة الهلال ،بيروت لبنان ،2003.
- ابن الأحمر ،**تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان** ،تحقيق وتقديم وتعليق هاني سلامة ،مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع بورسعيد ،الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م.
- الإدريسي(أبو عبد الله الشريف)،ت 560هـ / 1164م ،**وصف افريقية الشمالية والصحراوية** ،مطبوعات عالم الكتب ،بيروت لبنان ،الطبعة الأولى ،1409هـ/1989م.
- الأغا بن عودة المزاري ،**طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن 19م** ، ،تحقيق ودراسة يحي بوعزيز ، الجزء الأول، دار الغرب الاسلامي والطبعة الأولى ، بيروت لبنان 1990.
- البرزلي ،(أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي ،ت 841هـ/1438م)،**جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام** ،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ،دار الغرب الاسلامي ،الطبعة الأولى ،2002.
- البكري أبو عبيد الله ،**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة .دط .
- التنسي محمد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان** ،مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،حققه وعلق عليه محمود بوعياد ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر1405هـ/1985.

- ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا** ،حققه ووضع مقدمته وعلق عليه اسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الطبعة الثانية، الجزائر 1982.
- الحسن الوزان ، **وصف افريقيا** ،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، ،دار الغرب الاسلامي، الطبعة الثانية.
- ابن خلدون (أبي زكرياء يحي)،**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ،تقديم وتحقيق وتعليق ،عبد الحميد حاجيات ،وزارة الثقافة ،الجزائر ،2007 .
- ابن خلدون عبد الرحمن (ت في القرن8هـ/14م)،**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، المسمى بتاريخ ابن خلدون ، ضبط المتن الأستاذ خليل شحادة ،مراجعة الدكتور سهيل زكار ،دار الفكر بيروت طبعة 2000/1421م.

– **مقدمة ابن خلدون** وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ،ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مراجعة الدكتور سهيل زكار ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،د ط ،1421 هـ/2001م .

- ابن أبي دينار القيرواني ،**المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،الطبعة الثالثة.
- ابن ابي زرع الفاسي ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ،صور للطباعة والوراقة ،الرباط 1972.
- الزمخشري ،**تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ،تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر ، دار المصحف ،القاهرة ، د.ط.

- السلاوي أحمد بن خالد الناصري ، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ،تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصري ،الدار البيضاء ،دار الكتاب 1954.
- الشطيبي (محمد بن علي بن محمد بن حسين الصقلي الأندلسي) ، **الجمان في مختصر أخبار الزمان** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر رقم 2614.
- الاصطخري (بن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي) (ت خلال النصف الأول من القرن 4هجري)،**المسالك والممالك** ،تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ،مراجعة محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والارشاد القومي ،الادارة العامة للثقافة ، 1381هـ/1961م .
- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت 257هـ/871م، **فتوح مصر والمغرب** ،تحقيق عبد المنعم عامر ،شركة الأمل للطباعة والنشر ،القاهرة ، 1415هـ/ 1990.
- ابن عذارى المراكشي ،**البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب** ،تحقيق ومراجعة ،ج س كولان وليفي بروفنسال ،دار الثقافة ،بيروت لبنان ،الطبعة الثالثة ،1983.
- العمري (بن فضل الله شهاب الدين ابو العباس ت 748هـ / 1348م) ،**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، تحقيق حمزة احمد عباس ، المجمع الثقافي أبوظبي ، طبعة ،2002/1423م–ايا صوفيا.
- ابن العوام الاشبيلي (ابو زكريا يحي بن محمد بن أحمد) ،**كتاب الفلاحة** ،وهو كتاب مزدوج اللغة ،عربي اسباني ،أخرجه وترجمه –الى الاسبانية – د جوزيف أنتونيو ،المطبعة الملكية الاسبانية ،مدريد .

- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ،المتوفى سنة 817هـ ، **القاموس المحيط** ،ضبط وتوثيق ،يوسف الشيخ محمد البقاعي ،اشراف مكتبة البحوث والدراسات ،دار الفكر ،للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،ط 1420هـ/ 1999م .

- القلقشندي أبي العباس أحمد ،**صبح الأعشى في كتابة الإنشا** ،مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ،**1340**هـ/**1922**م.

- ابن كثير الدمشقي ،الامام الحافظ عماد الدين أبي الفدا اسماعيل المتوفى سنة 774هـ ،**مختصر تفسير ابن كثير** ، اختصار وتحقيق محمد على الصابوني ،شركة لشهاب الجزائر ،طبعة 1410هـ/1990م.

- المازوني (أبو زكرياء يحي المغيلي) ،**الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ،تحقيق حساني مختار ،نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات ،جامعة الجزائر 2004.
- مالك بن أنس (أبو عبد الله)،**المــوطأ** ،خرّج أحاديثه ،أحمد علي سليمان ،الجزء الثاني ،دار الغد الجديد للنشر والتوزيع ،القاهرة ،الطبعة الأولى، **1429**هـ/**2008**م.
- محمد بن يوسف الزياني .**دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران** .تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي ،وزارة الثقافة ،الجزائر 2007.
- محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** ،تحقيق علي الزاوي ومحمد محفوظ ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان الطبعة الأولى ،1988.

- المراكشي عبد الواحد،ت647هـ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تحقيق سعيد العريان ،طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية1963.

- مراكشي مجهول ،**كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشره وعلق عليه سعد زغلول عبد الحميد ،مطبعة جامعة الاسكندرية 1958م.
- ابن منظور الافريقي المصري ،(ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، **لسان العرب** ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،الطبعة السادسة 1417هـ -1997م.
- النووي (محي الدين ابي زكريا يحي بن شرف الشافعي المعروف بالنووي)، **شرح صحيح مسلم**.راجعه الشيخ خليل الميس ،دار القلم بيروت لبنان ،الطبعة ،3،كتاب الامارة رقم 33 ،الباب 53،ج.13،رقم الحديثَ 177.
- الونشريسي ،(أبو العباس احمد بن يحي)،ت 914هـ،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و والأندلس والمغرب** ،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ،الرباط ودرا الغرب الإسلامي ،بيروت ،1401هـ/1981م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي)،**معجم البلدان** ،دار صادر بيروت ط 1397هـ /1977م ، الجزء1.

قائمة المراجع :

- بوتشيش إبراهيم القادري: **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، بيروت ،دار الطليعة ،مارس 2002م .
- بورويبة رشيد واخرون ،**الجزائر في التاريخ** ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- –الدولة الحمادية ،تاريخها وحضارتها ،د م ج ،المركز الوطني للدراسات التاريخية ،الجزائر 1977م.
- بوعزيز يحي **الموجز في تاريخ الجزائر** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007.
- – **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط** ، وزارة الثقافة ،الجزائر 2007.
- بوعياد محمود، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط** ، الشركة الوطنية ،للنشر التوزيع ،الجزائر ،1982.
- تضغوت محمد،**نحو تحديث دراسة التاريخ الاسلامي**، تقديم محمود اسماعيل ،دار رؤية للنشر والتوزيع ط 1 القاهرة ،2004.
- توفيق المدني أحمد، **هذه هي الجزائر** ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1956.
- جودت عبد الكريم ،**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هجريين /9–10م**،د م ج ،الجزائر 1992،
- الجوهري يسرى،**جغرافية المغرب العربي** ،منشأة المعارف الاسكندرية ،ص 1981.
- الجيلالي عبد الرحمان،**تاريخ الجزائر العام** ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ط7,1415هـ/1994م.
- حاجيات عبد الحميد ، **أبو حمو موسى الزياني** ،**حياته وآثاره** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،الطبعة الثانية.
- حساني مختار ، **تاريخ الدولة الزيانية**، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2007.

- حسن محمد ابراهيم ،**دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط** ،مركز الاسكندرية للكتاب ،الاسكندرية ،1999.
- حليمي عبد القادر علي ، **جغرافية الجزائر طبيعية بشرية اقتصادية** ،مطبعة الانشاء ،دمشق ،سوريا ،ط 2 ،1968م.
- دبوز محمد علي، **تاريخ المغرب الكبير** ،الطبعة الأولى ،1384هـ/1964م.
- الدراجي بوزيان ،**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ،الجزائر 1993.
- دحماني سعيد،**من هيبون —بونة الى عنابة ،تاريخ تأسيس قطب حضري** ،سلسلة الثقافة والسياحة والرياضة ،درا الهدى ،عين مليلة الجزائر ،جوان 2002.
- دنيز بولم، **الحضارات الإفريقية** ،ترجمة نسيم نصر ،منشورات عويدات ،بيروت ،الطبعة الثانية ،1982م .
- **دائرة المعارف الإسلامية** ،نقلها إلى العربية محمد ثابت الضميدي .احمد الشنتاوي ،إبراهيم زكي خورشيد عبد الحميد يونس ، مراجعة محمد مهدي علام، شارع عماد الدين القاهرة .
- روبار برونشفيك ،**تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13الى نهاية ق15م** ،نقله الى العربية حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي.
- روبير شنيرب ،**تاريخ الحضارات العام** ،اشراف موريس كروزيه ،نقله الى العربية يوسف أسعد داغر وفريد م داغر ،عويدات للنشر والطباعة ،بيروت لبنان ،ط4. 1998،القرن 19.
- زروق محمد، **دراسات في تاريخ المغرب**، دار افريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،المملكة المغربية ،الطبعة الأولى ، 1991.
- سالم عبد العزيز ، **المغرب الكبير** ، دار النهضة العربية ،بيروت لبنان،1981.

- سالم سحر عبد العزيز ،**أوراق تاريخية بحر متوسطية** ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية 2006،ص 149.
- سامعي اسماعيل ،**معالم الحضارة العربية الاسلامية** ،د م ج ،بن عكنون الجزائر 2007.
- سعيدوني ناصر الدين ، **دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،ط1 ،2000م ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت لبنان.
- شارل أندري جوليان ،**تاريخ افريقيا الشمالية** ،من الفتح الاسلامي الى سنة 1930م ،تعريب محمد مزالي /بشير بن سلامة ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر.
- شريط عبد الله ومحمد مبارك الميلي ،**مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1985.
- الشنيتي محمد البشير ،**أضواء على تاريخ الجزائر القديم** ،**بحوث ودراسات** ،دار الحكمة الجزائر ،2003.
- شوقي ضيف ،**عصر الدول والامارات** ،**الجزائر** ،**المغرب الاقصى موريتانيا السودان** ، دار المعارف ،القاهرة ،الطبعة الاولى.
- الطاهري احمد، **الطب والفلاحة في الأندلس بين الحكمة والتجريب** ،مركز الاسكندرية للكتاب1995.
- **امارة بني صالح في بلاد نكور** ،دار النجاح ،الدار البيضاء ،1998.
- العبادي مختار ،**دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية .
- عز الدين احمد موسى ،**النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي** ،دار الشروق بيروت ، ط 1، 1403 هـ/ 1983 م .

- بن عميرة محمد ،**دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب،** المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر الطبعة الأولى ،1984.
- عويس عبد الحليم ،**دولة بني حماد** ،صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ،دار الصحوة للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ،1991/1411م.
- الغريري عبد العزيز وآخرون ، ،**جغرافية الوطن العربي** ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1 ،1420 هـ/1999م.
- غلاب محمد السيد ويسرى الجوهري ،**الجغرافيا التاريخية** ،القاهرة 1975.
- الغنيمي عبد الفتاح ،**موسوعة المغرب العربي** ،**دراسات في التاريخ الإسلامي** ،مكتبة مدبولي ،ط 1 ، 1414هـ/ 1994م ،القاهرة .
- فرج محمد فرج ،**الزراعة والحرف والصناعات ب اقليم توات في القرن الثامن عشر والتاسع عشر م** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1977.
- فياض سليمان، **ابن العوام عالم الزراعة** ،منشورات anep ، 50شارع خليفة بوخالفة الجزائر ، الطبعة الأولى ،2006.
- فيلالي عبد العزيز ،**تلمسان في العهد الزياني** ،دار المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 2007.
- قنان جمال ،**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1830**،طبعة خاصة وزارة المجاهدين ، مصر ،الطبعة الثانية 1994 .
- الكعاك عثمان،**موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي** ،تقديم وترجمة ابو القاسم سعد الله ،وآخرون ،دار الغرب الجزائري ،الطبعة الأولى ،سنة 2003.

- كورين شوفالييه ،**الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510_1541م**، ترجمة جمال حمادنة ،د م ج ،وزارة الثقافة الجزائر 2007.
- لعروق محمد الهادي وسمير بوريمة ،**أطلس الجزائر والعالم** ،دار الهدى،عين مليلة الجزائر،د ط.
- لقبال موسى ، **تاريخ المغرب الإسلامي** ،دار هومة، الجزائر.
- محمود السيد ، **تاريخ دول المغرب العربي** ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية، 2006.
- مزيان عبد المجيد ،**النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الاسلامي والواقع المجتمعي** ،دراسة فلسفية واجتماعية ،منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار ،الرويبة الجزائر ،2001م .
- مسعود الخوند ،**الموسوعة التاريخية الجغرافية** ،ج2 ماي 1994.
- مؤنس حسين ،**تاريخ المغرب وحضارته**، 1992،العصر الحديث للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان، الطبعة الأولى.
- **أطلس تاريخ الاسلام** ،الزهراء للإعلام العربي ،ط1، 1407/1987.
- ابو موسى كمال،**جوانب من حضارة المغرب الاسلامي** ،من خلال نوازل الونشريسي ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية 1997.
- هاري هازارد ،**أطلس التاريخ الإسلامي**،رسم لستركوك وج. ماكس ميلي .ترجمة ابراهيم زكي خورشيد ،مطبعة القاهرة.
- هارون علي أحمد ، **جغرافية الزراعة** ، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع القاهرة ط 1: ، 1420_2000هـ .

قائمة الرسائل الجامعية

أ- أطروحات الدكتوراه

- أبو المعاطي يحي محمد عباسي ،**الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس (238-488هـ/856-1095م)** ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ،جامعة القاهرة ،كلية دار العلوم ،قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية ،القاهرة ،1421هـ/2000م.
- بشاري لطيفة بن عميرة ،**الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين** ،ق 1-4هـ/7-10م ،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط ،إشراف أدة بوبة مجاني ،السنة الجامعية ،2007-2008م.
- القرقوطي معمر الهادي محمد، **الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين** (668-869هـ/1269-1465م)أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ،اشرف عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ، السنة الجامعية ،2007-2008م.

ب- مذكرات الماجستير

- بشاري لطيفة ،**التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية** ، من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م) ،رسالة لنيل شهادة الماجستير ،تحت اشراف موسى لقبال ،السنة الجامعية 1986-1987م ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر.
- شعوة علي ، **الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط من خلال نوازل المازوني** ،مذكرة ماجستير ،اشراف مختار حساني ،جامعة الجزائر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ،سنة 2008-2009.
- غرداوي نور الدين ،**جوانب من الحياه الاقتصادية والفكرية بالمغرب الاسلامي في القرنين 8و9هـ /14و15م من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، تحت إشراف أد عبد العزيز لعرج ،السنة الجامعية 2005-2006 جامعة الجزائر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ.
- قدور عبد المجيد ،**هجرة الأندلسيين الى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين 10-11هـ/16-17م** ،مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،إشراف محمد أمين محمود بدوي ،جامعة الاسلامية الأمير عبد القادر ،سنة 1995-1996 .
- هواري موسى،**تربية الحيوانات ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين** (ق 1-7هـ/ 7-13م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،إشراف د/ بن عميرة محمد جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ،2008-2009 .

- بلحميسي مولاي ،نهاية دولة بني زيان ،مجلة الأصالة ع 26سنة 1975.
- بشاري لطيفة بن عميرة، **الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية** ،مجلة الدراسات التاريخية ،جامعة الجزائر معهد التاريخ ،العدد 8، 1994/1993.
- غطاس عائشة، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ،**الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،1954.
- فيلالي عبد العزيز ،**تلمسان في العهد الزياني ،دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية** ،مقال بمجلة الدراسات التاريخية وجامعة الجزائر معهد التاريخ ،العدد العاشر سنة 1997م.
- القادري عبد الحميد ،**التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب**، الملتقى التاريخي الثالث ،منشورات جمعية الوفاء للشهيد ،متحف المجاهد تقرت ،ط 1 ،23-24أفريل 1998.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية

- Dhina Amar,**Califes et Souverains** ,Entreprise nationale du livre,3bd ,ziroud yousef,alger1991 .
- Balta Baul,avec la colaboration de Rulleau Cloudine ,**Le Grand Maghreb**,editions la phomic ,7rue colonel haoues ,alger . 1990.
- Kaddache Mahfoud,**L'ALGERIE MEDIEVALE** , ,entreprise nationale du livre,3bd ,ziroud yousef,alger,2eme edition.
- Messli Mohamed Elyes,**les originnes de la crise agricole en Algerie** ,du contonnment de 1846 a la nationalisation de 1962 ,edetion dahlab ,rue de tripoli_h .dey alger,1995.
- Saad G. actes du congres D'histoire et de la civilisation du Maghreb , **le monde rurale Maghrebin** ,opu,Alger 1983, tom1,p83



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات